أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلت إلى **مجلّة بيبليا** سنة ١٩٩٩

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوراسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش
الأخت روز أبي عاد

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
المطران نقولا أنتيبا
الأب سمير بشاره
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الخوري وسام حدّاد
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القسّ عيسى دياب
الأب أندره رزق الله
الأخت دولي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري ميشال صقر
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخوراسقف أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الأب بيار نجم
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

في هذا العدد

الافتتاحيّة:

الكتاب المقدّس والقرآن ..... رئيس التحرير ٢
البيبليا والقرآن في حوار ..... الأب كريستيان تْرُولْ ٧
اليهود والقرآن ..... الأب مارون عوده ١٧
من الله إلى البشريّة في المسيحيّة والإسلام ..... المونسنيور بولس الفغالي ٢٥
الله الذي يعبده المسيحيّون والمسلمون ..... الأخت روز أبي عاد ٣٩
الوحي والإلهام والتنزيل بين المسيحيّة والإسلام ..... الخوري جان عزّام ٤٧
هل حرّف النصارى الإنجيل ..... الأب مارون عوده ٥٣
بولس وتأسيس المسيحيّة في رأي المسلمين ..... الأب أيوب شهوان ٦٣

العنوان
كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠
البريد الإلكترونيّ: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb
mimigerges@usek.edu.lb

ثمن العدد
في لبنان: ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنويّ (٤ أعداد)
في لبنان: ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

طباعة
Daccache Printing House s.a.r.l
عمشيت – لبنان

الافتتاحيّة

الكتاب المقدّس والقرآن

رئيس التحرير

مقدّمة

يحسن أن ننظر إيجابًا إلى الدعوات الكثيرة الرائجة في عصرنا، والتي تتكلّم وبإلحاح على الحوار الضروريّ بين المسيحيّين والمسلمين، لا بل بين المسيحيّة والإسلام[١]. إنّ المبادرة، التي اتّخذتْها إدارة **مجلّة بيبليا**، بتسليط الضوء على ما بين الكتاب المقدّس والقرآن من نقاط تشابه وتواصل، من جهة، واختلاف وتباعد، من جهة ثانية، تصبّ في تحقيق الهدف السامي القاضي بإبراز حقائق الأمور استنادًا إلى منهجيّة علميّة موضوعيّة، والذي سيعمل على الإسهام فيه ذوو اختصاص ومعرفة.

إن الصِيغ غير الدقيقة أو الملتبسة، الغارقة في كمٍّ كبير من التصريحات الصادقة أساسًا، ولكن الفارغة أو شبه بذلك واقعًا، قد تؤدّي إلى الظنّ أو التخيُّل أنّ الحوار يسير على ما يرام، بينما الواقع هو على خلاف ذلك. هناك العديد من البيانات أو التصاريح التي تشكّل آخر الأمر مجموعةً من الالتباسات الذهنيّة الضارّة والمسيئة.

أ – ثوابت قرآنيّة إسلاميّة

بالنسبة إلى المسلمين، كلِّ المسلمين، هناك نقاط جوهريّة أربع تشكّل نوعًا من قاعدة الإيمان، هي التالية:

١– **محمّد** هو رسول الله؛

٢– **القرآن** هو الكلام الذي أملاه الله على محمّد، وبالتالي ينبغي أن يحظى بالإكرام؛

٣– **وجهة الصلاة** هي نحو **مكّة**؛ من هنا العبارة التي يطبّقها المسلمون على ذاتهم، متخطّين كلّ انقساماتهم: "أهل **القِبْلة**"، أي إلى حيث تكون وجهتهم عند الصلاة؛

٤– بالنتيجة، هذه المدينة هي للجميع أيضًا هدف **الحجّ الكبير سنويًّا**.

فإذا كان **القرآن هو كلام الله**،

وإذا كان **محمّد الذي تلقّاه هو مرسل الله**، و"المثال الجميل" (القرآن ٣٣: ٢١) الذي اقترحه الله على المؤمنين،

فبإمكاننا، أقلّه مبدئيًّا، أن نستنتج تقريبًا التصرّف كلّه الذي يشاء الله أن يراهم يتبنّوه.

(١) أنظر أيضًا في هذا العدد: كريستيان تْرُولْ، تعريب روز أبي عاد، "البيبليا والقرآن في حوار".

ب – المقارنة المغلوطة بين الكتاب المقدّس والقرآن

إنّ الخطر الجسيم بالنسبة إلى المسيحيّين، كما بالنسبة إلى المسلمين، لا بل إلى كلّ إنسان، هو الخمول العقليّ والتقهقر الفكريّ؛ نقول هذا الكلام لكي نؤكّد على أنّ هذا الخطر الحاصل يؤدّي بهؤلاء جميعًا إلى أن يُلصقوا ببعضهم البعض آراء لا تستند إلى حجّة دامغة أو إلى ثوابت أهلٍ للقبول؛ وتحديدًا هنا، يؤدّي بالمسيحيّين إلى أن يُلصقوا بالإسلام رسومًا بيانيّة من الفكر المسيحيّ، وليس في هذا احترامٌ للإسلام ولكتابهم المُنزَل، كما يؤدّي بالمسلمين إلى أن يُلصقوا بالمسيحيّين وبكتبهم المقدّسة أمورًا مماثلة، وليس في هذا أيّ خير لأيٍّ من الفريقَين.

يظنّ الكثيرون أنّ الحوار يكون أسهل إذا ما كان هناك تشديد على النقاط المشتركة، مقابل التقليل من أهمّيّة الفروقات؛ فما هي الفائدة، مثلاً، من القول أنّ الإسلام، كما المسيحيّة، هو:

– ديانة توحيديّة،

– وأنّه يعتقد أنّ الله يخاطب الناس بواسطة الأنبياء وعَبْرَهم،

– وأنّه يعرف أسماء إبراهيم، ويسوع، وغيرهما؟

هذا في الواقع صحيح، ولكن دون فائدة تُجْنى من ذلك، ولا غاية يتمّ بلوغها.

ينبغي القول بوضوح أنّ الإسلام يختلف عن المسيحيّة، وأنّ المسيحيّة تختلف عن الإسلام، هذا إذا كنّا نسعى حقًّا إلى حوار مفيد وبنّاء بين الاثنين. لن يكون ذا مردود الكلام بشكل ملتبس على أوجه الشبه بين المسيحيّة والإسلام، إذ ليس كلُّ شَبَهٍ هو في الحقيقة شَبَهٌ.

إنّ التشابه بين المسيحيّة والإسلام يجعلنا نتبيّن أنّ كثيرًا من المعطيات اليهوديّة والمسيحيّة هي موجودة في الإسلام، ولكن ينبغي الاعتراف بأنّ هذه المعطيات قد تبدّلَ مفهومُها، أو مدلولُها، كلّيًّا أو جزئيًّا. ويحسن هنا أن نشير إلى وجوب وضع جدول بالعناصر التي تتقاسمها الديانتان، انطلاقًا من كتاب كلٍّ منهما[٢].

لقد حدّد الإسلامُ الناشئُ ذاتَه من خلال تمايُزِه عن الديانتَين اليهوديّة والمسيحيّة. وعندما أراد أن يوضح الأمرَ حول ما هو جديدٌ فيه كديانة، اعتبر ذاتَه وكأنّه ديانةٌ أتت بعد اليهوديّة وبعد المسيحيّة، وبالتالي بعد الكتاب المقدّس.

ج – هل القرآن على تواصل مع الكتاب المقدّس؟

هل هناك كتاب مشترك بين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة أخرى؟

هناك فكرة إسلاميّة تقول بأنّ **الكتب المقدّسة** التي سبقت القرآن، قد عبث بها حاملوها، وبالتالي هي لا تمثّل رسالة موسى ولا رسالة يسوع. المعضلة هي أنّ رسالة القرآن لا تتفّق إلاّ جزئيًّا ومن بعيد مع رسالة العهد القديم والجديد، لذا كان لا بدّ من محاولة إيجاد وسيلة لإبطال الكتاب المقدّس. هذا ما تحقّقه بالتحديد عقيدة "التحريف"، أي **تحريف الكتب المقدّسة** التي سبقت القرآن.

ترتكز فكرة التحريف هذه على أساس قرآنيّ، حيث لدينا لَوْمٌ يُوجَّه إلى بعض اليهود الذين حوّلوا الكلام عن معناه الصحيح (٤: ٤٦). لقد تمّ تشويه النصّ الأصليّ المنْزَل من لدن الله، بتحريض من أشخاص تَدْعُوهُم الأسطورةُ أحيانًا "عزرا" بالنسبة إلى اليهوديّة، وأحيانًا أخرى "بولس" بالنسبة إلى المسيحيّة؛ إن التنديد بهذا الأخير باعتباره مؤسّسَ مسيحيّةٍ تخونُ يسوعَ هو شائع[٣]، ينبغي التشديد في هذا السياق على أنّ بولس ليس على الإطلاق مؤسّسَ المسيحيّة بل، كما يؤكّد هو، لم يعلّم سوى ما تسلّمهُ من الجماعة المسيحيّة الأولى: "فإنّي سلّمْت إليكم أوّلاً ما تسلّمْتُه..." (١ كو ١٥: ٣أ)[٤].

د – مفهوم الوحي البيبليّ مختلف عن المفهوم القرآنيّ

الوحي في القرآن مختلف عن الوحي البيبليّ. إنّ الطريقة التي بها يعرض الإسلامُ العلاقةَ بين الله والإنسان

هي على نقيض الرسالة البيبليّة؛ **فاستنادًا إلى الكتاب المقدّس**، الواقع الأوّل ليس النبوءة، بل دخول الله في التاريخ، واختباره أن يكون في شركة مع الإنسان، بدءًا من الشركة مع شعبه الذي بتّ معه عهدًا، منتقلاً من تواصل غير كلاميّ إلى تواصل كلاميّ عبر الأنبياء الذين يعتبرون ذاتهم مرسليه، وبواسطتهم يخاطب إسرائيل، ومَهَمَّتُهم هي التذكير بعهد الله[٥].

بالنسبة إلى المسيحيّة عهد الله مع البشريّة وجد ذروته في الوحدة في شخصٍ واحد، هو يسوعُ المسيح، بين الطبيعتَين الإلهيّةِ والبشريّة. ما هو جوهريّ في المسيحيّة هو بالتالي حياة المسيح بالذات، على قدر ما تُبرِز وجهَ الله من خلال ما يقوم به، وكلُّه في النهاية خلاصيٌّ، أي: المسامحة، والشفاء، والإطعام، والتحرير من الخطيئة، والتخليص من الموت. إنّ تعليم يسوع هو وجهٌ من حياته؛ هو يصوغُ بكلماتٍ ما تعبّرُ عنه أفعالُه، وأفعالُه تضمنُ حقيقةَ ما يَعِدُ به والبُعْدَ العملانيَّ لِمَا يطلبه. يسوع لم يحمل رسالة، بل هو ذاته رسالة الله للبشر.

أمّا الإسلام فيرى أنّ الوحي الإلهيّ هو إبلاغُ رسالة لا تعلِّم ما هو الله، بل ما يريد. الله الذي يبتّ هذا الوحيَ "يُنزِل" (نزول) كتابَه في صُوَرٍ تقعُ في قلب التاريخ، لكنّ الله لا ينخرط في المخاطرة البشريّة. رسالته هي كتاب، هو القرآن، كما أُوكِل إلى محمّد، مرسَل الله.

هـ – هل محمّد نبيّ؟

هل يستطيع المسيحيّون أن يعترفوا بمحمّد نبيًّا؟ لكن ما معنى كلمة "نبيّ"؟

يميّز الإسلام مستويات عدّة في النبوءة؛ ولكي يشير القرآن إليها، هو لا يملك مصطلحات موحّدة. بالمقابل، يميّز التفكير العقائديّ اللاحق بين "نبيّ" و"رسول":

– يتلقّى كلّ نبيّ إملاءً من العلاء، لكن بالنسبة إلى آخرين هذا الإملاء لا يتعلّق بهذين النبيّ والرسول.

– إلى آخَرين، أقلّ عددًا، يُبلغ الإملاءُ رسالةً عليهم أن ينقلوها إلى الجماعة التي إليها هم ينتمون.

– أخيرًا، يتوجّب على البعض، وهم قلّة صغيرة جدًّا، أن يجلبوا إلى جماعتهم، وفي حالة محمّد إلى البشريّة بأسرها، قاعدةَ حياةٍ تعبّر عن إرادة الله؛ هذه الفئة الأخيرة من الأنبياء هي وحدها يُشار إليها بكلمة "رسول"، وإليها ينتمي محمّد؛ وإذا كان القرآن يوحي بأنّه قد أُرسِل أُنزِل إلى "الحُمرْ والسود"، أي إلى الناس أجمعين.

إذا اعترف المسيحيّ بصفة "النبيّ" لمحمّد، فإمّا أنّه يعني بها ما لا يُرضي المسلمين، وإمّا هو يعطي للكلمة معنى "المُرْسَل"، وبالتالي قد يطلب منه المسلمون، بما أنّه يقبل بحقيقة رسالة محمّد، أن يخضع للشريعة التي جاء بها محمّد، ويمتنع عن أن يتبع شريعة المسيح، التي أبطلها الله وأحلّ مكانها الشريعة النهائيّة، أي شريعة محمّد.

خاتمة

من كلّ ما تقدّم نستنتج أنّ الحوار والرغبة في التلاقي والنوايا الحسنة لن تأتي بنتيجة من دون قول الحقيقية. ينبغي أن يسير الحوار المسيحيّ الإسلاميّ بالحقّ وبالمحبّة في معرفةٍ دقيقةٍ واحترامٍ عميقٍ لِما

(٢) رج: D. Masson, *Monothéisme coranique et monothéisme biblique. Doctrine comparées*, Paris, Desclée, 1976.

(٣) Cf. H. Maccoby, *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986; Si Hamza Boubakeur, Traité moderne de théologie islamique, Maisonneuve ²1993, p. 95-97.

(٤) رج في هذا العدد من **مجلّة بيبليا**، أيوب شهوان، "بولس وتأسيس المسيحيّة في رأي المسلمين".

(٥) رج في هذا العدد من **مجلّة بيبليا**، جان عزّام، "الوحي والإلهام والتنزيل بين الإسلام والمسيحيّة".

يفكّر به الآخَر، ويؤمنُ به، ويقوله؛ ينبغي أيضًا أن يصغي المسيحيّ إلى المسلمين يتكلّمون على شخص يسوع، وأن يصغي المسلمون إلى المسيحيّين يتكلّمون على شخص محمّد؛ هذا ما يتمنّاه بوضوح العديدون من الساعين إلى تنشيط الحوار المذكور، وفي طليعتهم روجيه أَرْنَلْدِز[٦]، من خلال مؤلّفاته الشهيرة في هذا المجال.

مراجع

ARNALDEZ Roger, *Jésus, fils de Marie, prophète de l'islam*, coll. « Jésus et Jésus-Christ », 13, Paris, Desclée 1980.

BOUBAKEUR Si Hamza, *Traité moderne de théologie islamique*, Maisonneuve ²1993.

MASSON D., *Monothéisme coranique et monothéisme biblique Doctrines comparées*, Paris, Desclée, 1976.

(٦) Cf. Roger ARNALDEZ, *Jésus, fils de Marie, prophète de l'islam*, coll. « Jésus et Jésus-Christ », 13, Paris, Desclée 1980. يتضمّن هذا المؤلَّف سيرة قرآنيّة ليسوع .

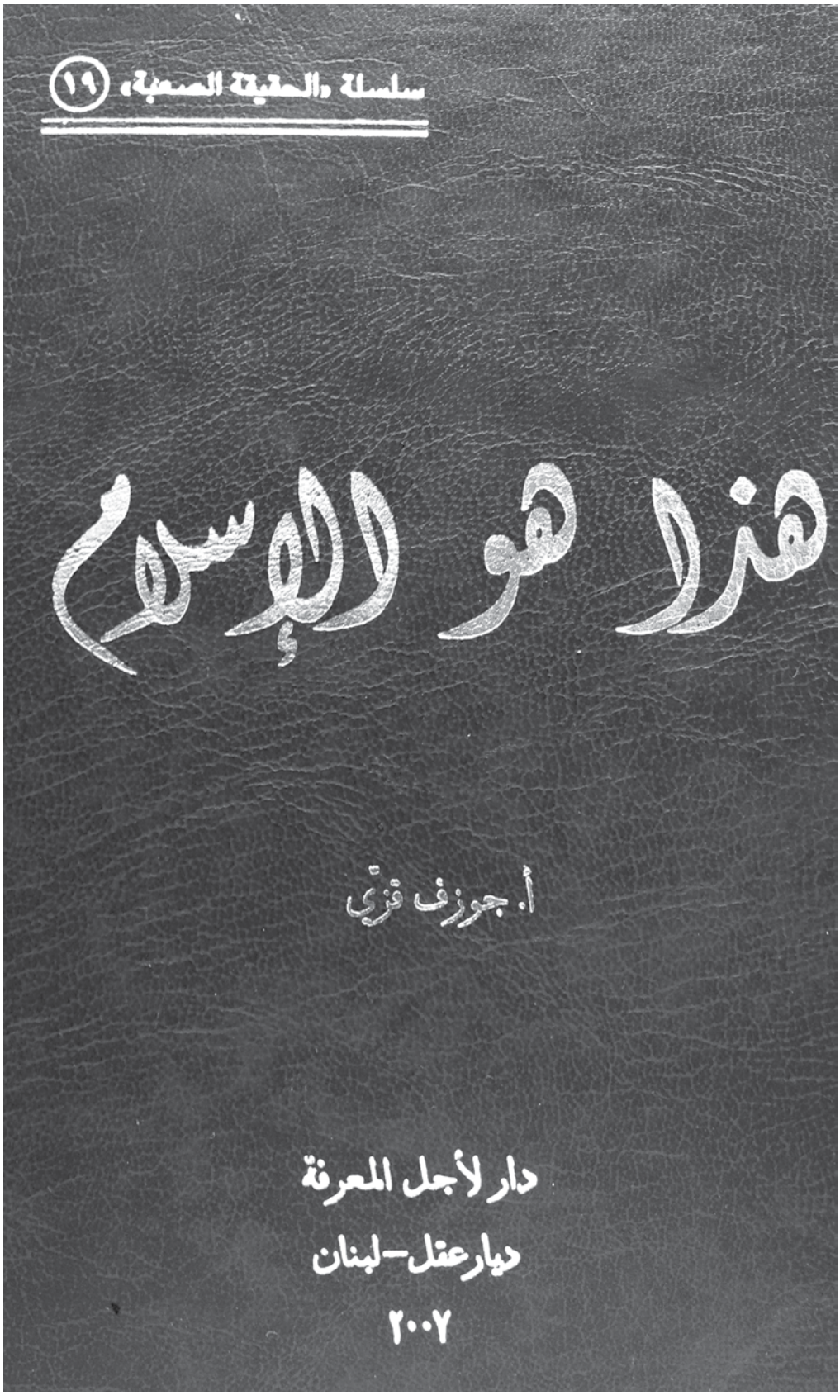
سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٩)
هذا هو الإسلام
أ. جوزف قزي
دار لأجل المعرفة
ديار عقل – لبنان
٢٠٠٧

البيبليا والقرآن في حوار

الأب كريستيان تْرُولْ*

تعريب الأخت د. روز أبي عاد

مقدّمة

مَن يقول حوارًا مع الإسلام يقول دائمًا حوارًا مع هذا أو ذاك من المفاهيم الممكنة في الإسلام. بالطبع، توجد معطيات إيمانيّة مشتركة لكلّ المسلمين: القرآن كوحي لكلمة الله، محمّد كخاتمة الأنبياء، و"أسوة حسنة" لحياة ترضي الله (سورة ٣٣، ٢١)، وأخيرًا، الالتزام في بعض الممارسات الدينيّة الأساسيّة المعتبرة كأوامر إلهيّة. غير أنّ العالم الإسلاميّ، وبنوع أخصّ، المسلمين السنّة، لا يعرفون السلطة العقائديّة التي عليها أو يمكنها أن تدّعي أنّها تعلّم التفسير الصحيح للقرآن وللسنّة والتي يمكنها الحصول على موافقة كلّ المسلمين. تعود المفاهيم المختلفة للإسلام إلى الطرق المختلفة لقراءة النصوص القانونيّة (بالأخصّ النصوص القرآنيّة)، كذلك الأمر بالنسبة إلى تنوّع التفاسير المختصّة بالأحداث التأسيسيّة والرموز الدينيّة المرعية الإجراء. أتوقّف هنا لدى الطائفة السنّيّة، التي تمثّل الأكثريّة في الإسلام، ومفهومها لديانتها، حسبما تلقّنها وتمارسها جامعة الأزهر في القاهرة وفي مؤسّسات عدّة تتّصف بالتبعيّة ذاتها.

بالإضافة إلى ذلك، سأكتفي بتحديد بعض الملاحظات المتعلّقة مباشرة بالحوار الإسلاميّ المسيحيّ. سأعالج إذًا النقاط التالية: ١– كلمة الله: مقاربة مسيحيّة ومقاربة إسلاميّة؛ ٢– المعتقدات الإسلاميّة المتعلّقة بالقرآن والبيبليا؛ علاقتها التضمينيّة في الحوار الإسلاميّ–المسيحيّ؛ ٣– القيمة الروحيّة للبيبليا والقرآن بالنسبة إلى المسيحيّين والمسلمين؛ ٤– بعض المبادرات في شأن قراءة مشتركة للبيبليا والقرآن.

١–كلمة الله: مقاربة مسيحيّة ومقاربة إسلاميّة

سنتبع هنا "العناوين الرئيسيّة للحوار بين المسيحيّين والمسلمين"[1]. وهذا ما سيقودنا إلى تحديد النقطة المشتركة بين الديانتين؛ فالمسيحيّون والمسلمون يعتقدون أنّ الله يأخذ المبادرة ليتكلّم مع البشر، في وسط التاريخ نفسه. كلاهما يعتبر نفسه المستفيد السعيد من "هبة الكلمة". بالنسبة إلى المسلمين، القرآن هو الوحي النهائيّ، الفريد والموثوق به تمامًا لكلمة الله الموجَّهة إلى البشريّة بواسطة محمّد (رج مثلاً سورة ٤٢، ٥٢).

(*) عمل الأب كريستيان تْرُولْ Christian Troll كأستاذ الدراسات الإسلاميّة في نيودلهي، ثمّ محاضر في العلاقات الإسلاميّة–المسيحيّة في برمنغهام وأستاذ في المعهد البابويّ للدراسات الشرقيّة في روما. سنة ١٩٩٩ استلم إدارة الندوات الإسلاميّة–المسيحيّة في الأكاديميّة الكاثوليكيّة في برلين. منذ سنة ٢٠٠١ يعمل كأستاذ شرف في جامعة اللاهوت والفلسفة للقدّيس جاورجيوس في فرانكفورت.

(1) Maurice Borrmans, *Guidelines for Dialogue between Christians and Muslims*, New York/Mahwah, 1990, 104-105.

من ناحيتهم، فالمسيحيّون واثقون بـ"أنّ الله، بعدما كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء مرّات كثيرة بوجوه كثيرة، كلّمنا في آخر الأيّام هذه بابن جعله وارثًا لكلّ شيء وبه أنشأ العالمين" (عب ١: ١–٢).

في سعيهم للاستفهام المتبادَل على الطريقة التي تتلقّى فيها ديانتهم كلمة الله وتفهمها، على المسيحيّين والمسلمين ألاّ يُخفوا فرقًا جوهريًّا في ما يعتبرونه يخصّ هذه الكلمة. بالنسبة إلى المسلمين، كلمة الله هي القرآن نفسه: "وإنّه لتنزيل ربّ العَلَمين"، "بلسان عربي مُبين" (سورة ٢٦، ١٩٢–١٩٥). عليهم كذلك أن ينوّهوا إلى الأهمّيّة التي يكنّونها للقرآن، بما هو حديث عن الله وشريعة للبشريّة. بالنسبة إلى المسيحيّين، أتت كلمة الله إلى العالم في "ملء الأزمنة" (رج مر ١: ١٥)، ليس تحت شكل "كتاب"، بل في شخص يسوع المسيح، الذي كان بمثابة ظهور الآب وحضور الله في قلب البشريّة. بالنسبة إليهم "التقليد المقدّس والكتاب المقدّس يكوّنان وديعة واحدة مقدّسة لكلام الله أوكلت إلى الكنيسة"(دستور عقائديّ في الوحي الإلهي ١٠)، "لأنّ التقليد المقدّس والكتاب المقدّس يرتبطان ببعضهما ويشتركان في ما بينهما بصورة وثيقة... كلاهما ينبعان من المصدر الإلهيّ" (دستور عقائديّ في الوحي الإلهي ٩). بالتالي، تعلّم الكنيسة أنّ الكتب المقدّسة للعهدين القديم والجديد، هذا العمل المشترَك لله وللكتّاب الملهَمين من الله، ليست سوى الوسيلة – الممتازة والقانونيّة، طبعًا – للوصول إلى معرفة كلمة الله في قلب الحياة.

إنّ "العناوين الرئيسيّة"، التي تهدف إلى مصداقيّة الحوار، تشدّد على أنّ كلّ من المسيحيّين والمسلمين أن يأخذوا بعين الاعتبار الفروقات العميقة التي تميّز قناعاتهم الإيمانيّة في ما يخصّ طبيعة كتاباتهم المقدّسة ورسالتها، ذلك، بهدف تجنّب الالتباسات غير المجديّة أو الأزمات الباطلة. في الإسلام، أصبحت كلمة الله "الكِتَب [الذي] لا ريب فيه" (سورة ٢،٢). "...الكِتَب بالحقّ مصدِّقًا لما بين يديه من الكِتَب" (سورة ٥، ٤٨)، "...الكِتَب تِبيَانًا لكلّ شيء..." (سورة ١٦، ٨٩)، أي القرآن. المسيحيّون، من جهّتهم، يؤمنون أنّ "الكلمة صار بشرًا" في شخص يسوع المسيح (يو ١: ١٤)، الربّ الذي صُلب وقام.

٢– المعتقدات الإسلاميّة المتعلّقة بالقرآن والبيبليا، علاقتها التضمينيّة في الحوار الإسلاميّ–المسيحيّ

٢–١– القرآن والحوار المسلم–المسيحيّ

إنّ المقاطع القرآنية التي تتكلّم عن المسيحيّين وعن نموذج العلاقات التي يليق أن تجري مع المسلمين لعديدة، ولكنّنا لن نتوقّف إلاّ على بعض الآيات المأخوذة من السورتين الخامسة والتاسعة. هاتان السورتان تتعلّقان بالمرحلة الأخيرة من التنزيل القرآنيّ. إذًا تُعتبران كأنّهما "الكلمة الأخيرة" للقرآن حول هذه المسألة، وهما بالتالي تُلغيان أو تصحّحان البيانات السابقة والتي من المحتمَل أن تختلفا عنهما.

يدعو القرآن المسيحيّين، لا بل أيضًا اليهود، "أهل الكتاب" وفي بعض الأحيان "أهل الإنجيل" (مثلاً سورة ٥، ٤٧)، بمعنى أنّه يشجّع المسيحيّين على تقدير سلوكهم وممارستهم من جديد على ضوء الكتاب المقدّس. غالبًا ما يطرح المسلمون، صراحةً أم ضمنيًّا، هذا السؤال: "لماذا لا يطبّق المسيحيّون الأوامر المعطاة بوضوح من التوراة، كالختانة أو التحفّظات الغذائيّة...؟". ولكنّ هذا السؤال يخفي سؤالاً آخَر أساسيًّا: "كيف تُطيعون كلمة الله؟". يمكن أن يجد المسيحيّ في هذا النموذج من الإسناد إلى البيبليا مقياسًا ضيّقًا جدًّا، دون أن يكون خطأ، ولكن عندما يكونون في حوار مع المسلمين، على المسيحيّين أن يُجيبوهم على السؤال الذي طُرح عليهم بطريقة يفهمها المسلمون. إضافة إلى ذلك، سيستفيد المسيحيّون كثيرًا إذا أدركوا التوتّر بين هذه أو تلك من الممارسات، لا بل تناقضها الصريح وتعاليم البيبليا.

بالنسبة إلى المسلمين، على أيّ حال، لا يوجد أيّ شكّ: عليهم أن يحكموا في كلّ شيء من تعليم القرآن. هم لا يرون ضرورة قراءة البيبليا، كون القرآن بالنسبة إلى الإيمان الإسلاميّ، هو كلمة الله الأخيرة. لقد حُفظ في أصالته، وهو بالتالي، يُثبت أو يُلغي كلّ "الكتب" السابقة (رج سورة ٥، ٨): "وأنزلنا إليك الكِتَب بالحقّ مصدِّقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ..."). يُمكن للمسيحيّين أن يتبعوا ضميرهم ويُطيعوا ما يعتبرونه كلمة الله، أمّا المسلمون فيعتبرون كلّ التعاليم البيبليّة التي لا تتوافق والقرآن كأنّها مهمَلة أو مزيّفة.

علينا أن نعلمَ تفكير القرآن المعبَّر عنه في سورة ٥، ٤٨، وهو أنّ التعدّديّة الدينيّة هي واقع وأنّها تدوم حتّى منتهى العالم، وأنّ وجود الديانات الأخرى إلى جانب الإسلام هو اختبارٌ مُرادٌ من الله ليمتحن أمانة المسلمين ("لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم في ما ءَاتَكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون").

في سورة ٥، ٨٢، نجد مقطعًا شهيرًا يختصّ بالديانات الأخرى. في آية واحدة يصف القرآن اليهود والمشركين كأنّهم "أشدّ الناس عدوة للذين ءامنوا"، ثمّ تليها الفكرة: "الذين قالوا انّا نَصرى" فهم "أقربهم مودّة للذين ءامنوا"، وتضيف الآية: "ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا وأنّهم لا يستكبرون". هذا ما يُظهر بجلاء ما ينتظره المسلمون من المسيحيّين: معنى حقيقيًّا لعظمة الله اللاقياسيّة، بالإضافة طبعًا، إلى المحبّة والتواضع. هذا النصّ، بالواقع، يمكنه أن يرجع إلى جماعة من المسيحيّين يتلاءمون مع الإسلام. مهما كان من أمر، فهذا المقطع يخصّ القرآن، وبالتالي، فالمسلمون يعتبرونه كلمة الله.

علاوة على ذلك، نجد نصوصًا أكثر تحديدًا، ولكنّها بالتأكيد لا تشجّع على الحوار. لنأخذ مثلاً: "يأيّها الذين ءامنوا لا تتّخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضُهم أولياء بعض" (سورة ٥، ٥١)، أو أيضًا، الدعوة الشهيرة لمحاربة المسيحيّين لإخضاعهم للشريعة الإسلاميّة، وهذا ما يفترض التبعيّة السياسيّة (سورة ٩، ٢٩). رغم أنّ القرآن يميّز بوضوح بين أهل الكتاب المؤمنين بالله، وغيرهم الذين لا يؤمنون، فهذا التمييز لم يُطبَّق أبدًا، وفي الماضي قد طُبِّق التوجيه أعلاه، أي محاربة جميع المسيحيّين.

إنطلاقًا من النصوص المتعلّقة بالمسيحيّين والعلاقات التي يُمكن للمسلمين أن يُقيموها معهم، يستخلص غوديل (M.A. Gaudeul). ما يلي:

يبدو أنّ النصوص القرآنيّة تحوي عناصر يُمكنها أن تحثّ المسلمين للشروع في إقامة حوار خصب مع المسيحيّين. بالطبع، ليس لنا أن نقول للمسلمين كيف عليهم أن يفهموا القرآن، لأنّ هذا هو شأنهم، ولكن علينا أن نضع مخاوفنا جانبًا وننطلق إلى لقاء المسلمين مثل الإنجيل، فبعض آيات القرآن تدعونا لذلك"[٢].

يبدو غوديل مقتنعًا من أمر: إذا أظهر المسيحيّون أنفسهم أنّهم "أهل الكتاب" حقًّا وواقعًا، أي أنّهم يُطيعون كلمة الله ولديهم معنى عميقًا لعظمته، عندها لن يكون أدنى شكّ أنّ الله سيستخدم هذه الشهادة ليذكّر المسلمين بالنصوص القرآنيّة الموافقة للمسيحيّين. وهذا ما يمكنه أن يجعل هؤلاء وأولئك يلتقون كأنّهم شركاء وليس كمنافسين أو كخصوم تتنازعهم مجادلات عقيمة.

(2) Jean-Marie Gaudeul, «Bible and Qur'an», in: *Encounter. Documents for Muslim-Christian Understanding* (Pontifical Institute of Arabic and Islamic Studies), nº 13, Rome 1975, 5.

٢-٢- بعض الاختلافات المهمّة بين المسيحيّين والمسلمين في موضوع فهم البيبليا

يفترض التعليم المسيحيّ عن إلهام البيبليا أنّ الله يستعين بالإنسان، فرديًّا أم جماعيًّا، إنطلاقًا من مبدأ الإحترام لحرّيّته، لذهنيّته، لمزاجه، لكفاءاته ولتقاليده. فالنصّ البيبليّ المطروح على المسيحيّين هو دائمًا وفي نفس الوقت كلمة الكاتب البشريّ وكلمة الله. هكذا، في البيبليا، تصل كلمة الله إلى السامع أو إلى القارئ في أساليب وصور وتعابير منوّعة ممّا يجعل هذا الأخير يتعرّف إلى الشخص أو إلى مجموعة الأشخاص الذين صاغوا النصّ وركّبوه على ما تسلّمناه اليوم. بالمقابل، فإنّ كلمة الله، عند المسلمين قد أوحيت إلى محمّد: الله، أو روحه (الملاك جبريل)، قد أملى عليه كلَّ ما يجب قوله، كلمة كلمة. محمّد هو إذًا الناطق بلسان الله، بمعنى أنّه لم يكن لديه أيّ دور لاختيار الكلمات أو التعابير...التي تلفّظ بها.

لا يستشهد المسلمون أبدًا بالقرآن قائلين: "محمّد قال هذا..." بل يُعلنون بلا قيد أو شرط: "الله يقول..."، ولا يتورّعون عن التفكير أنّ المسيحيّين المعاصرين يُنكرون للبيبليا أصلها الإلهيّ عندما يستشهدون بها بالاكتفاء بالإشارة إلى: "يعلّم أشعيا"، "يقول موسى". مع جان–ماري غوديل[٣] يمكننا أن نتساءل إذا لم يكن من الحكمة بمكان أن نستشهد بالبيبليا –خاصّة في إطار الحوار مع المسلمين– باستعمال التعابير التي تُظهر إيماننا بالإلهام والتصرّف اللإلهيّين. صياغات نجدها في البيبليا ذاتها، مثلاً: "داود نفسه قال بوحي من الروح القدس..." (مر ١٢: ٣٦) أو ببساطة: "مكتوب" (غل ٤: ٢٧).

بما أنّ الإيمان الإسلاميّ ينظر إلى الوحي كأنّه نصّ مكتوب كإملاء، فهذا يؤدّي إلى نتيجة أخرى. في الوقت الذي تحوي البيبليا والقرآن عدّة فنون أدبيّة مختلفة، يقدَّم القرآن كأنّه فقط نصّ نبويّ. أمّا الأساليب والنماذج الأخرى المتضمّنة في القرآن (صلوات، شرائع، إرشادات، قصص، إلخ) فتندمج كلّها في الإطار الإجماليّ للنبوءة. زد على ذلك، فالقرآن كلّه يمكن أن يُعتبَر بمثابة عظة كبيرة (أو إرشاد) موجّه من الله (أو من ملائكته) إلى محمّد، أو إلى المؤمنين أو إلى البشريّة.

اليقين الذي بموجبه كُتب القرآن كتلقين من الله، يؤدّي بالمسلمين إلى الاستنتاج أنّ هذا النصّ هو كاملٌ، إلهيّ، على مستوى المضمون كما على مستوى التعبير. يعترف المسلمون في جمال اللغة العربيّة للقرآن وفي وضوح مغزاه (المركّز على وحدانيّة الله والأخوّة بين البشر) إنّه أعجوبة مجهّزة بقوّة إقناع لا تقاوَم.

هناك تباين آخَر مهمّ يميّز البيبليا عن القرآن ومن شأنه أن يوجّه المسيحيّين والمسلمين في اتّجاهات مختلفة بعض الشيء. إذا أردنا أن نلخّص رسالة البيبليا في بعض الأسطر لقلنا: الله يكشف عن ذاته في تاريخ الخلاص. هذا التاريخ يتميّز خاصّة باختيار شعبٍ معيَّن، بالوعد بالمسيح، وبالعهد الذي أُقيم مع هذا الشعب. هذا الأخير، مع أنّه بدا غير أمين، لم ينبذه الربّ رغم أنّه نال عقابه. فالتربية الإلهيّة قادته شيئًا فشيئًا لتكوين فكرة لا تنفكّ تزداد سموًّا، ممّا أعانه ليفهم خطيئته بعمق أكثر وليتوطّد بمتانة أكثر في رجاء تحقيق الوعود المسيحانيّة. لقد أصبح إيمان الكنيسة، إسرائيل الجديدة، والمجموعة الكتابيّة المدعوّة بالعهد الجديد: "التصميم السرّيّ" لله، الذي كان مكتومًا لحينه والذي ظهر في الابن، يسوع الناصريّ. يسوع هو محور التاريخ، هو الذي، بموته وقيامته، خلّص الجنس البشريّ بأسره، وأعطى المؤمنين به أن يشاركوه مجده، بفضل روحه القدوس. وهكذا أصبح في متناول هؤلاء أن يهيّئوا مجيئه الثاني. إذًا، نحن بصدد تصميم خلاصيّ واحد، يمتدّ من البدء حتّى نهاية الأزمنة ويتمحور حصرًا على يسوع، "المسيح" الذي

(3) Jean-Marie Gaudeul, 1975, 7.

أدخله الله في تاريخنا، وهو بدوره أخذ تاريخنا على عاتقه في حياته الخاصّة.

الإسلام لا يعرف تاريخ الخلاص، الذي يشتمل على الظهور التدريجيّ لسرّ الله والذي يبلغ أوجه في التجسّد، الصليب، القيامة وإرسال الروح القدس.

الإيمان الإسلاميّ، في الواقع، ينظر إلى العلاقة بين الله والبشريّة بطريقة مغايرة:

– الله يرسل الأنبياء في أوقات معلومة ليذكّر الناس بوجود ديانة لا تتغيّر. ديانة مؤسّسة على الطبيعة البشريّة التي خلقها الله، واهبًا إيّاها توجيهًا طبيعيًّا نحو عبادة الإله الواحد. رسالة هذه الديانة الفطريّة هي دائمًا ذاتها: الله واحد. أعبدوه وحده. تنبّهوا إلى العدالة الاجتماعيّة. آمنوا باليوم الأخير.

– يُرسَل هؤلاء الأنبياء في أماكن وفترات مختلفة وإلى جماعات مختلفة لا تمتّ بصلة بعضها لبعض. الرؤية القرآنيّة ليست كناية عن تاريخ مستمرّ لله مع شعبه، وعبره مع البشريّة جمعاء. نحن هنا بالأحرى أمام تجاور مداخلات إلهيّة دون وجود أيّ ارتباط يوصلها ببعضها.

– السياق ذاته يتكرّر في كلٍّ من هذه المداخلات: يكبّ النبيّ على التبشير ورسالته تُرفَض من قبل الناس، عندها يدمّر الله الجماعة لكنّه يخلّص رسوله. يسترجع القرآن الأسباب المؤدّية إلى العقوبات مستعيدًا قصصًا من العهد القديم: نوح والطوفان، لوط وسادوم، موسى والمصريّين، يونان ونينوى. كلّ هذه القصص تستبق خبرة محمّد ذاته.

– أخيرًا، وبعد أن تكون البشريّة قد قطعت شوطًا كبيرًا، يرسل الله محمدًا، بمثابة آخِر الأنبياء وخاتمتهم. رسالته تقوم على التبشير بما سبقه من الأنبياء الصادقين، إنّما بوضوح لا مثيل له وللبشريّة بأسرها عبر الأمّة المسلمة. منذ النبيّ محمّد، يتوجّب على الجماعة المسلمة ليس فقط أن تعرّف بمثال الإيمان والقواعد الدينيّة، بل أيضًا المحاربة في كلّ مكان ليأتي مُلك الله الفعليّ في كلّ ميادين الوجود بواسطة الإسلام والشريعة الإلهيّة.

٢-٣-كيف يدرك المسلمون البيبليا

إنّ ما قلناه عن القرآن ورؤيته للتاريخ يشترط لقاء المسلمين بالبيبليا.

لدى قراءتهم النصّ البيبليّ، يختبر المسلمون أوّلاً شعور الغرابة والحيرة. هم المعتادون على الأسلوب الأدبيّ للقرآن، يجدون أنفسهم إزاء البيبليا في مواجهة مكتبة تحتوي كتابات متنوّعة زمنيًّا وثقافيًّا وتختلف من حيث الأسلوب والمضمون.

فالمسلمون الذين تعلّموا من القرآن ومن التعليم المسيحيّ ومن التبشير أنّ كتاب التوراة أعطي لموسى، والمزامير لداود، والإنجيل ليسوع؛ يصبح عليهم صعبًا أن يطابقوا التوراة وكتب الشريعة الخمسة. كما يتحتّم عليهم أيضًا أن يكتشفوا أنّ المزامير ليست كلمات منسوبة إلى الله، ولكنّها صلوات موجّهة إليه.

وبالتالي، فليس من المستغرَب أن يشعر مسلمو العالم أجمع أنّ البيبليا قد حُرِّفت من قِبَل اليهود والمسيحيّين. فالقرآن قد سبق وأتّهم "أهل الكتاب" أنّهم كتبوا نصوصًا جديدة وأنّهم غيّروا بعض كلمات البيبليا. لقد سبق وقلنا إنّ القرآن، وبالتالي الإسلام، لا ينظر إلى إمكانيّة تاريخ خلاص واحد، يؤدّي إلى وحي تدريجيّ حتّى الوصول إلى نقطة عدم العودة. من ثمّ، في مواجهتهم للبيبليا، يميل المسلمون إلى التفكير هكذا:

"أنظروا إلى التوراة: لو كانت فعلاً أوحيت من الله كما هي الآن، لوجدنا فيها إشارة إلى قيامة الأموات، أو إلى وجود السماء والجحيم. أليس أنّ كلّ كتاب موحًى شرعيًّا عليه أن يحوي هذه الحقائق الجوهريّة؟ إذا كانت التوراة لا تعلّمها، فالسبب يعود إلى أنّ اليهود قد ألغوا كلّ المقاطع التي تحوي هذه المعطيات الأساسيّة. علاوة على ذلك، إذا كانت التوراة الحقيقيّة قد أُعطيت من الله إلى موسى، فكيف يُمكنها أن تُروي موت هذا

الأخير؟ من الضروريّ أن يكون اليهود قد أضافوا نصوصهم الخاصّة إلى كلمة الله".

من المهمّ أن يدرك المسيحيّون منطق هذه الاتّهامات إنطلاقًا من مبدأ ثابت، وهو أنّ الوحي نزل من السماء وأملاه الله. يمكننا إذًا أن نفهم هذا السؤال الذي طرحه عليّ أحد المسلمين بعد أن قرأ موقعي على الإنترنت (www.answers-to-muslim.com): "إذا كانت الديانة المسيحيّة حقيقيّة، كيف يمكن وجود أناجيل متباينة؟". بالواقع، فالمسلم يسأل ما جرى للإنجيل الواحد، الذي أوحي كلمة كلمة من قِبَل الله إلى "عيسى، ابن مريم". وليس هذا فقط، فبالإضافة إلى وجود أربعة أناجيل متباينة. في العهد الجديد، يكتشف المسلم أيضًا أنّ هذه "الأناجيل"ناتجة عن تجميع تقاليد عن يسوع، وقد رتّبها ونظّمها تلاميذ، بعضهم لم يتعرّف قطّ شخصيًّا على يسوع. أضِف إلى ذلك أنّ اعتبار المصدر الإنسانيّ لهذه النصوص أمرٌ بديهيّ، لأنّها مليئة بالتفاوت والتناقضات في ما بينها. أخيرًا، القرآن (الذي يعني بالنسبة إلى المسلمين "الله ذاته") واضح: يسوع لم يَدَّعِ قط أنّه أكثر من نبيّ، لم يمت على الصليب، وأخيرًا فقد أعلن صراحةً مجيء محمّد.

لماذا لم يُشر العهد الجديد بوضوح إلى مجيء محمّد؟ يجيب المسلم على هذا السؤال هكذا: لأنّهم نزعوا من النصّ الإعلان عن هذا المجيء. من وجهة نظر المسلم إذًا، لم يبقَ في البيبليا إلاّ بعض الآثار التي تمسّ محمّد. نذكر منها: تث ١٨: ١٨ حيث يُعلن الله إلى الإسرائيليّين أنّه يُقيم من بين إخوتهم، نبيًّا كموسى؛ والإنجيل بحسب يوحنّا (١٤: ٢٦) الذي يَعِدُ بمجيء البارقليط أو المعزّي. ففي حين أنّ المسيحيّين يطبّقون هذا الإعلان على الروح القدس، يقرأ المسلمون periklutos (مشهور، جدير بالثناء) عوض parakletos، ممّا يخوّلهم أن يؤكّدوا أن الكلمة تعني محمّد المقصود باسمه "ممدوح"[٤].

على المسيحيّين ألاّ يُحبَطوا عندما يكتشفون أنّهم متّهمون بتحريف البيبليا. هذه الاعتراضات وهذه التهم لا تصوَّب إليهم شخصيًّا، ومن ثمّ، عليهم أن يستعملوا كلّ الوسائل المجهّزة من البحث المعاصر ومن وسائل الإعلام، من بينها الإلكترونيّة، لإفهام المسلمين المثقّفين أنّ العقيدة الإسلاميّة عن "تحريف" البيبليا لا سند لها.

بعض العلماء المسلمين يقبلون بالنصّ البيبليّ كما هو على حاله، وهذا ما ليس بالمفاجئ، ويقترحون أنّ التحريف الذي يتكلّم عنه القرآن يصوَّب بالأحرى إلى التفسير الخاطئ للنصّ من قِبَل اليهود والمسيحيّين منذ الأزمنة الغابرة، منه إلى تزوير النصّ الحاليّ. غيرهم من المسلمين الجامعيّين يعترفون أنّ الأناجيل تستند جيّدًا على أحداث تاريخيّة، ولكنّهم يُضيفون أنّ التفسير المسيحيّ لهذه الأحداث لا يُلغي غيره (التفسير المسلم على سبيل المثال)[٥].

٣- القيمة الروحيّة للبيبليا والقرآن بالنسبة إلى المسيحيّين والمسلمين[٦]

٣-١-التعرّف إلى الكتابات المقدّسة ومعناها: واجب لا مفرّ منه للمؤمنين المسيحيّين والمسلمين في وقتنا الحاضر

اليوم يعيش المسيحيّون والمسلمون سويّة في طاعة للدولة السياسيّة، وهذا الأمر الواقع قد أصبح حقيقة في العالم كلّه. كثير من الناس أصبحوا مقتنعين أنّهم

(4) Cf. William M. Watt, *Muslim*-Christian *Encounters. Perceptions and Misperceptions*, London 1991, 33ss.

(5) Cf. Hava Lazarus-Yafeh, Art. «Tahrif», in *Encyclopédie Islamique*, [2]2000, 111ss.; Christian W. Troll, «Sayyid Ahmad Khan on Matthew 5,17-20», in *Islamochristiana*, vol. 3, 1977 99-105.

(6) Cf. Hans-Martin Barth, *Hermeneutik in Islam und Christentum, Beiträge zum interreligiösen Dialog* (Rudolf-Otto-Symposium 1996), Hamburg 1997, 9-23.

مدعوون للتعرّف على الآخَر والتعاون معه بهدف إعلاء الخير وتجنّب الشرّ، أينما وُجدَت إمكانيّة تحقيق ذلك. بالنسبة إلى المسلمين، ينضوي احتقار "الكتب" الأخرى في إطار عدم الطاعة لرسالة القرآن. زد على أنّ المسلمين أصبحوا أكثر إدراكًا "لضرورة" الاستعلام من المسيحيّين عن تفسيرهم للبيبليا. هذا الميل نجده أيضًا عند الذين يخالون أنّ "أهل الكتاب" قد زوّروا نصوص كتاباتهم المقدّسة أو عند الذين لا يهتمّون باليهود أو بالمسيحيّين إلاّ كونهم كمرتدّين محتمَلين إلى الإسلام. في كلّ الأحوال، لا يمكن للمسلمين المتعلّقين بالقرآن أن يتغاضَوا عن تصريحاته الإيجابيّة المختصّة بـ "أهل الكتاب"، حتّى ولو، كما أشرنا سابقًا، تحاذي هذه التصريحات أقوالاً سلبيّة.

"ليسوا سواء من أهل الكِتَب أمّة قائمة يتلون ءَايَتِ الله ءَانآء الَّيل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخِر ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكَر ويسرعون في الخيرات وأولئك من الصَلحين وما يفعلوا من خير فلن يُكفَروه والله عليم بالمتّقين" (سورة ٣، ١١٣–١١٥).

ولكنّ اعتبارات لا تمتّ بصلة إلى الإسلام تدخل في الحسبان وتحثّ المسلمين على الاهتمام بجدّية بالبيبليا والتعرّف عليها حقًّا، تمامًا كما أنّ غير المسلمين المعاصرين يريدون أن يتعوّدوا على نصّ القرآن بذاته. في مجتمعاتنا الحديثة أصبح من المحتّم أن يواجه المسلمون المقاربة النقديّة للنصوص الروحيّة، مقاربة لم يكونوا قد اعتادوا عليها حتّى الآن. ردّة فعلهم الأولى إزاء التفسير النقديّ المعاصر قد تشدّد عزيمتهم في قناعاتهم التقليديّة، أعني به أنّ النصّ الأصليّ قد حُرِّف. غير أنّهم، في الوقت عينه، سيسألون أنفسهم: لماذا شكّلت المقاربة التاريخيّة النقديّة للنصوص البيبليّة عامل تجديد ومناسبة لتشجيع التفسير الإيمانيّ الغنيّ بالمعاني ليومنا الحاضر، عوض أن تقضي نهائيًّا على المسيحيّة؟ ذلك أنّ التفسير التاريخيّ النقديّ، ساهم بدون أدنى شكّ، وبطريقة مستحدَثة، في الاعتراف بالقيمة الروحيّة واللاهوتيّة للكتابات.

تكنّ المسيحيّة أيضًا اهتمامًا جديدًا للقرآن. فالمسيحيّون الذين يفكّرون يتساءلون: كيف يمكن اليوم، أن يسري نصّ كالقرآن في قوّة روحيّة كهذه؟ في الواقع، يبدو أنّ المسلمين يتلقّون اندفاعًا ضخمًا من هذا النصّ، اليوم كما في الأمس. إذًا، ليست أوّلاً التأكيدات على تحريف البيبليا التي تشكّل تحدّيًا للمسيحيّين، بل كون القرآن، هذا الكتاب الذي دخل التاريخ حوالى ستمائة سنة بعد ولادة المسيح، لم يزل يغذّي إيمان أكثر من مليار مؤمن ورع؛ وهذا ما يجعل المسيحيّين يسألون فعلاً عن معنى ذلك: هل إنّ إله يسوع المسيح سمح، لا بل سبّب، بروز هذه الظاهرة الدينيّة؟

٣-٢-نموّ وتطهير روحيّان، بفضل الاهتمام المتبادَل في كتاباتنا المقدّسة

رغم أنّه يبدو أمرًا صعبًا ما يمكن أن تُحدثه النصوص المتأتّية من محاولة روحيّة مشترَكة في وضع البيبليا والقرآن في وثاق، غير أنّه لا مفرّ من المهمّة، إلاّ إذا قرّرنا أن ننغلق عمدًا على الروحانيّات الأخرى. المسيحيّون والمسلمون يمكنهم أقلّه أن يغتنوا بالتبادل، إلى حدٍّ معيّن. عليهم أن يقول بعضهم لبعض، ما هو موقفهم الداخليّ الأساسيّ تجاه الآخرين، ما يخالونه مهمًّا على المستوى الدينيّ، إنطلاقًا من أيّة وجهة نظر روحيّة يحاولون أن يسيّروا حياتهم. بالتأكيد، فالبيبليا والقرآن ليسا بالنسبة إلى المسيحيّين والمسلمين سوى قطبٍ ممكنٍ بين غيرهم، والحال أنّهما يبقيان نقطة مركزيّة لإيمان مَن يقبلونهما كـ"كتابات". يُمكن إذًا أن تُطرَح بعض الأسئلة: ماذا ينفع المسلم أن يتحقّق من أهمّيّة البيبليا بالنسبة إلى كلّ مسيحيّ وإلى المسيحيّة في جملتها؟ بالطريقة عينها، كيف يُغني المسيحيّون بعضهم بعضًا حين يكتشفون تجربة المسلم المعاشة، وكيف أنّ كلّ الأمّة المسلمة مكوّنة بفضل القرآن؟

النصوص البيبليّة هي إجابة متعدّدة الأصوات لاكتشاف "عجائب الله". الكلمة التي، في المسيح يسوع، هي الله ذاته، لم تزل تجد أجوبة دائمًا جديدة:

تتحوّل هذه الأجوبة إلى شهادات، إعلان إيمان، بشرى سارّة. يعيش المسيحيّون في وعي يعترف أنّ الله، العظيم أبدًا، يرغب في أن يلقاهم في يسوع الناصريّ، الربّ المصلوب والقائم من الموت والذي يُشركنا في حياته على "مائدة الخبز" وعلى "مائدة الكلمة".

أمّا المسلمون، فيبدو أنّهم لا ينظرون إلى القرآن كأنّه جواب من محمّد أو من أيّ شاهد إيمانيّ آخر. بالنسبة إليهم، بالواقع، القرآن ليس أقلّ من كلمة الله، الموضوعة خطّيًّا. هذا النصّ موجود منذ الأزل، كان محفوظًا في السماء ومكتوبًا "في لوح محفوظ" (سورة ٨٥، ٢٢). أُعطي إلى محمّد الذي نقَله إلى سامعيه في أمانة مطلَقة. هؤلاء قبلوه بأكمله وحفظوه في ذاكرتهم وعهدوه في الكتابة. المؤمن مدعوّ لأن يُجيب على وحي الله الخالق والديّان من خلال تطبيق أمين "الأعمدة الخمسة" للإسلام. الشريعة يمكن أن تُستنتَج من أوامر القرآن فتشكّل توجّهًا واضحًا للأفراد وللجماعة. إذا أصبح القرآن موضوع حبٍّ صوفيّ ومنبعًا شبه سرّي للقوّة، يبقى قبل كلّ شيء هاديًا لأنّه يعبّر عن إرادة الله الرحيم.

٤ – بعض المبادرات في شأن قراءة مشترَكة للبيبليا والقرآن

مؤخّرًا قام ميخائيل إيبغراف (Michael Ipgrave) بعمل ريادي، إذ نظّم باسم رئيس أساقفة كنتوربري، مؤتمرًا إسلاميًّا–مسيحيًّا في الدوحة، وقد استضافه أمير دولة قطر. تضمّنت أعمال هذا المؤتمر موضوع الكتابات في حوار، فتوزّع المشاركون على أربع مجموعات صغيرة، مؤلّفة من جامعيّين مسيحيّين ومسلمين. إلتقت هذه المجموعات ستّ مرّات، لقراءة ودرس مقاطع مختارة حسب الأصول من القرآن ومن البيبليا. إثر المؤتمر، كتب إيبغراف ما يلي:

"في كلٍ من المسيحيّة والإسلام تقاليد غنيّة للتفسير الكتابيّ. يعلمون أيضًا كيف ينمّون هذه التقاليد في وسائل عدّة تمكّنهم من الإجابة على حالات وأسئلة جديدة. ولكن توجد أمكنة ومناسبات قليلة لكي يتعرّف المسيحيّون والمسلمون على تقاليد بعضهم البعض ويبدأوا بحوار حول كتاباتهم... والحال أنّ كلّ مَن يريد أن يتقدّم نحو فهم أفضل ويعمل لإحلال السلام بين هاتين الديانتين، عليه أن يأخذ هذه الكتابات بصورة جدّيّة كونها مرتبطة في الأحسن والأسوأ طيلة تاريخنا المنصرم والحاضر"[٧].

منذ بعض الوقت، تلتقي هنا وهناك مجموعات صغيرة من المسيحيّين والمسلمين المثقّفين بصورة منتظمة، بهدف قراءة مشتركة لنصوص بيبليّة وقرآنيّة. في منتصف ١٩٨٠ نشر الأب جاك جومييه Jacques Jomier بعض الوثائق لمساعدة هذه المجموعات في دراساتها. على ضوء مبادرات ومنشورات الأب جومييه، اجتمعت مجموعة من الشبّان بصورة منتظمة في برلين، وقد ضمّت يهودًا ومسلمين ومسيحيّين ذوي ثقافة دينيّة متينة، ومن بعدها كُرِّرت التجربة ذاتها في فرانكفورت لقراءة نصوص قرآنيّة وبيبليّة. يجهد المشتركون، من كلّ جانب، بواسطة هذه القراءة المشترَكة، أن يفهموا بطريقة أفضل الحجج التي بسببها ما تزال النصوص البيبليّة والقرآنيّة تسحر وتُلهم الذين يُصغون إليها ويقرأونها بقلب مفتوح. السؤال المطروح: على الأرجح هذه القراءة الروحيّة المشترَكة ستلقى الامتياز لدى البعض، لكن ماذا يقلّل هذا من القيمة الأصليّة لهذه المبادرات؟

بالموازاة، على المسيحيّين أن يدعوا شبيبة مسلمة جامعيّة للاشتراك في مؤتمرات بيبليّة وعلميّة والعكس بالعكس. إذا أردنا حقًّا الحصول على حوار إسلامي–مسيحيّ، نحتاج إلى علماء في المسيحيّة وفي الإسلام

(7) Michael Ipgrave, *Scriptures in Dialogue. Christians and Muslims Studying the Bible and the Qur'an together*, London 2004, 144.

لأنّ تعليمهم ومنشوراتهم وخلاصاتهم بالتعاون مع بعضهم بعضًا تسهّل بالتأكيد فهمًا أفضل للأطر المختصّة بالديانتين وحوارًا حقيقيًّا بين معاهد الأبحاث الخاصّة بكلّ منهما. في هذا السياق، من المهمّ الإشارة إلى مجموعة الأبحاث الإسلاميّة–المسيحيّة التي تحمل مشروعًا طويل الأمد. هذا الكيان الذي يضمّ بصورة منتظمة جامعيّين مسيحيّين ومسلمين من أوروبّا وأفريقيا الشماليّة في مجموعات محلّيّة، يهدف إلى تشجيع البحث والتداول. يلتقون في جوّ من الصداقة، بصفتهم ممثّلين لتقاليدهم على الصعيد الشخصيّ ودون أن يكون لهم جدول أعمال دينيّ أو سياسيّ. سنة ١٩٨٧ نشرت هذه المجموعة نتيجة عملها في الفرنسيّة والإنكليزيّة.

يشتمل هذا العمل مراحل عدّة؛ الأولى تقوم على تحديد كتاباتهم وتقديم دورها ومدلولها سواء للإسلام أو للمسيحيّة. يتناقشون أيضًا في الأساليب والحوافز التي تحثّ على قراءة ودرس هذه الكتابات، كذلك تسليم هذه النصوص إلى الأشخاص أو إلى الجماعات بالطريقة نفسها التي يقبلونها ويُجيبون عليها. ينتهي الكتاب بتصريحين: أحدهما كناية عن تعليق على البيبليا من قِبَل جامعيّين مسلمين، والآخر كناية عن تعليق على القرآن من قِبَل المسيحيّين.

في كلمته الافتتاحيّة لمؤتمر الدوحة الذي ذكرناه أعلاه، شرح رئيس أساقفة كونتربري أهمّيّة دراسات كتابات الديانتين المسيحيّة والإسلاميّة في آنٍ معًا:

المسيحيّون هم مسيحيّون والمسلمون هم مسلمون لأنّهم يشعرون أنّهم معنيّون بالحقيقة ومقتنعون أنّها وحدها تُعطي الحياة. ولكنّ المسيحيّين والمسلمين لا يتّفقون كلّيًّا على طبيعة هذه الحقيقة المطلقة والمحيية. رغم ذلك، فهم قادرون أن يجدوا الكلمات التي تسمح لهم أن يشرحوا وأن يستكشفوا عدم الاتفاق هذا. والسبب في ذلك هو أنّ عالمهما الدينيّ الخاصّ يحوي ممارسات وقصصًا مشترَكة يمكنهم أن يطابقوها بالتبادل. هكذا، فإنّ تاريخهم يعود إلى خلق العالم من الله ويتضمّن دعوة الله لإبراهيم، دون نسيان ممارسة قراءة ودمج الكتابات، بغية تحويل حياته إلى جواب على الكلمة التي يوجّهها الله إلى الخلق. نحن هنا لنكتشف سويّة كيف أنّ كلّ جماعة تفكّر أنّ عليها أن تُصغي إلى الله، رغم علمنا أنّنا لا نُدرك ولا نتكلّم عن الوحي الإلهيّ بالطريقة عينها... الإصغاء إلى الله والإصغاء إلى بعضنا بعضًا– أمم، ثقافات، ديانات– لا يأخذ دائمًا الأوّلويّة، رغم الإلحاحيّة التي يتقلّدها هذا المسعى. هذا ما يُضفي على هذه الفسحة من التفكير أهمّيّة بالغة، إنّه في الوقت عينه رمزٌ ومثالٌ لهذا النموذج من الإلتزام[٨].

كلّ مسيحيّ يختار أن يساهم في قراءة مشترَكة للبيبليا والقرآن، أو، عمومًا، بتبادل لاهوتيّ في إطار الحوار الإسلاميّ–المسيحيّ، يعلم أنّه يذهب في طريق الاكتشافات. طبعًا، سيعي أنّ هناك معطيات إيمانيّة جوهريّة مشترَكة. ولكنّه سيكتشف أيضًا أنّ مقارباتنا الإيمانيّة الخاصّة هي جذريًّا مختلفة. إختلافات من شأنها أن تؤثّر على مفهوم الوجود والتعليم اللاهوتيّ. أخيرًا وبنوع خاصّ، عليه أن يواجه نوعيّة المسيحيّة: أي حدث يسوع المسيح الذي يكوّن محور الإيمان المسيحيّ، يسوع، ابن إسرائيل وابن الله. كلّما تقدّموا في لقاءاتهم مع المسلمين والإسلام، كلّما وجد المسيحيّون أنفسهم، مؤمنين ولاهوتيّين، في مجابهة هذا النموذج من الأسئلة: هل يمكن للمسيحيّين أم هل عليهم أن يعتبروا محمّدًا نبيًّا في المعنى اللاهوتيّ للكلمة؟ هل يمكنهم، أم هل عليهم أن يعترفوا أنّ القرآن "يحمل كلمة الله"، كما أكّد ذلك روبير كاسبار (Robert Caspar)؟ أيّ تشريع أو أيّة قيمة خلاصيّة على المسيحيّين أن يعزوها إلى الإسلام؟

لا أهدف من هذا المقال إلى عرض مسائل كنتُ قد

(8) M. Ipgrave, 2004, XI-XII.

عالجتها في مكان آخَر[٩]. مع ذلك، في هذه الخاتمة، أودّ أن أشير باختصار إلى موقفي حول نقطة أساسيّة. من ناحية، يستحقّ محمّد والقرآن الاهتمام الأكبر من جهة المؤمنين واللاهوتيّين المسيحيّين لأنّ محمّدًا والكتاب الذي نادى به باسم الله يشهدان لخبرة دينيّة حقيقيّة. ولكن في الوقت عينه، وعلى ضوء الوحي الذي يجد ملأه في المسيح يسوع، فإنّ ادّعاء نبيّ الإسلام والقرآن بكونهما الوحي الكامل والنهائيّ، من خلال الحكم وإلغاء كلّ ما سبقه من وحي، لا يمكنه إلاّ أن يُثير ردّة فعل رفضيّة لدى المسيحيّين. علاوة على ذلك، فتعليم القرآن يقدّم وجهات نظر أو تأكيدات لا تتوافق، أو حتّى تناقض القيم التي أنشأها يسوع المسيح. هكذا، كلّ ما يجسّده ويعلنه بخصوص تقدمة الذات دون إكراه وحبّ الأعداء. يمكننا أن نقول أيضًا، من وجهة النظر المسيحيّة، برفض القرآن الجزئيّ للإنجيل الذي يدعو إلى الكمال والتّشبّه بيسوع المسيح المتجسّد، الربّ المصلوب والقائم من الموت، كمثال للقداسة دون أن ننسى رفض البشرى السّارة لله الذي بيسوع المسيح، قدّم ذاته للبشريّة.

بالنسبة إلينا، أن نقرأ وندرس القرآن مع المسلمين، يعود إلى العمل اللاهوتيّ والإيمانيّ الذي يقوم على تمييز ثمار الروح في النصوص التأسيسيّة والتجربة المعاشة للأديان. في الكنيسة، المسيحيّون مدعوّون دائمًا إلى عيش دعوتهم بصدق أكثر، ليكونوا نورًا وملحًا وخميرة في العالم. وهذا يتحقّق باشتراكهم في حدث التاريخ الكونيّ الذي يحوّل الثقافات والديانات في مسيرة إزالة الستار، وتمييز نقديّ وتطهير متبادل للذاكرة والقلب تحت قيادة الروح القدس. كلّنا مدعوون لأن نَدَع الحياة الثالوثيّة لله تمسّنا، هو الذي ظهر لنا حبًّا غير مشروط بيسوع المسيح. هذه هي البشرى السّارة، والكتابات المقدّسة التي يحفظها إيماننا ويجاهر بها.

(9) Christian W. Troll, *Der Islam im Verständnis der katholischen Theologie. Überblick und neuere Ansätze*, in Marianne Heimbach-Steins/ Heins-Günther Schöttler/ Heimo Erti, Religionen im Dialog. Christentum, Judentum und Islam, Münster 2003, 51-61.

اليهود والقرآن

الأب مارون عوده
دكتور في اللاهوت، اختصاص إسلاميّات

مقدّمة

جاءَ في القرآن عدد وَفير من الآيات القاصدة اليهود، يدعوهم في البداية إلى الإيمان به وإلى كلمة سواء مع المسلمين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، ثم يَطلُبُ من محمّد بعد فترة زمنيّة أن يَستَقِلَّ عنهم ويرجع إلى دين إبراهيم السابق لدينهم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]. في النهاية يُكَفِّرهم الله قائلاً لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[3].

تَبَدّلَ قَصدُ الله من اليهود نتيجةً لخيانتهم لمحمّد يوم كان بأمَسِّ الحاجة إليهم في المدينة، أثناء صراعه مع كُفّار قريش خصوصًا في غزوة "أُحُد"[4]. فَرَضَ الواقع الحربيّ التاريخيّ على الله أن يتفاعل مع مجريات الغزوات والصراع بين اليهود والمسلمين، ليُنزِلَ آياتٍ شديدةَ الغضب والقَسوة بحقّ اليهود تَتَوَعَّدُهُم بالعذاب العظيم: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]، كان كلّ ذلك لنُصرَة رسوله ودينه الإسلام.

جاءَ تطوّر الآيات هذا بعد أن شَعَرَ محمّد في مكّة أنّ موسى أقرب الأنبياء إليه[6]، وحين أنزَلَ الله عليه سورَتَي **إبراهيم** و **يوسف**، يشكر إبراهيم الله في السورة الأولى على وَهبِه إسماعيل أبا العرب والإسلام، وإسحاق أبا اليهود: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[7]، و"أعطى محمّد

(١) سورة "**آل عمران**": آية ٦٤.
(٢) سورة "**آل عمران**": آية ٦٧.
(٣) سورة "**آل عمران**": آية ٧٠.
(٤) كانت هذه الغزوة في شوّال سنة ثلاث للهجرة، حيث اجتمعت قريش لحرب رسول الله في جبل أُحُد؛ خَذَلَ اليهود محمّدًا؛ يومها انسحب عبدالله بن أبيّ بثلث الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه، من أهل النفاق والريب. **ابن كثير**، المغازي النبويّة: ١١٩ – ١٢٧.
(٥) سورة "**آل عمران**": آية ١٧٦.
(٦) **نولديكه** ٢٠٠٤: ١٠٦.
(٧) سورة "**إبراهيم**": آية ٣٩.

السورة الثانية لأوّل المؤمنين[٨] من يثرب ليأخذوها معهم لدى عودتهم إلى مدينتهم"[٩]. نَشَأ محمّد في مكّة التي تَرفَعُ صورة إبراهيم في كَعبَتِها[١٠] إكرامًا له كونه باني الكعبة بإيعازٍ وإرشادٍ من الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١١]، فكان يَأمَلُ محمّد خيرًا من اليهود، فقرّر الهجرة إليهم مُرسِلاً اثني عشرَ نقيبًا ليعلّموهم الوفاء بالعهد، وهم زعماء أسباطهم أو قادتهم، كما أمر الله موسى نبيّه ببعثه النقباء الاثني عشر من قومه بني إسرائيل إلى أرض الجبابرة بالشام[١٢].

هَاجرَ محمّد بدينِه إلى نُصرةِ يهود المدينة قائلاً لهم: "أنا منكم وأنتم منّي، أُحارب مَنْ حارَبتُم، وأُسالِم مَن سالمتم"[١٣]. حينَ قدِمَ المدينة، صَلّى محمّد باتّجاه صخرة بيت المقدس (مدينة القُدس)؛ بالإضافة إلى ذلك، وجَدَ اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عنه فقالوا: هذا نجّى الله فيه موسى، فقال: "نحن أحقّ بموسى منكم"، فصامه وأمر الناس بالصيام"[١٤]. لكنّه ما لبثَ أن صَرفَ القِبلَة باتّجاه مكّة في شهر شعبان بعد ثمانية عشر شهرًا من مَقدمه إلى المدينة[١٥]، وكان ذلك بأمرٍ من الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٦]. زد على ذلك، قد نَسخَ الله صيام عاشوراء بصيام رمضان[١٧] ليُصبح محمّد مُستَقِلاً كلّيًا عن اليهود بسبب إنكارهم رَسُولِيّة محمّد ونزول القرآن إذ قالوا: "ما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده"[١٨].

يدفعنا مختصر تاريخ محمّد واليهود هذا إلى الغوص في عمق الأسباب التي جَعَلَت الله يُغَيِّر اسم اليهود مرّات عدّة تماشيًا مع البعثة النبويّة؛ تَكَلّم عن بني إسرائيل، صَنَّفَهم بأهل الكِتَاب، عَيَّرَهُم مُنافقين، وسمَّاهم يهودًا. تغَيّرَ الاسم كلّما تبدّلت العلاقة بين محمّد واليهود، أو بحسب الرسالة والسامعين، لكنّ الغاية واحدة وهي ارتداد اليهود إلى الدين الصحيح.

١- بنو إسرائيل

سمّى الله في القرآن شعب التوراة بـ"بني إسرائيل" حين كان يتكلّم عن الأنبياء السابقين لمحمّد، خصوصًا إبراهيم وموسى، وعن مسيرتهم مع الشعب اليهوديّ، وعن الشعب الذي اختاره بنفسه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٩].

(٨) كان أوّل المؤمنين من يثرب أهل شِركٍ وأصحاب أوثان يعملون لصالح تجّار من قبيلة الخزرج اليهوديّة في المدينة، أخذوا سورة **يوسف** لأسيادهم لحَضّهم على نُصرة محمّد. **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٣٠٦.

(٩) **نولديكه** ٢٠٠٤: ١٣٧.

(١٠) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٧٤٤.

(١١) سورة "**البقرة**": آية ١٢٧.

(١٢) **الطبري**، جامع البيان: ٦/ ١٨٤– ١٨٥.

(١٣) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٣١٥.

(١٤) **ابن كثير**، المغازي النبويّة: ٥٢٦.

(١٥) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٤١٥.

(١٦) سورة "**البقرة**": آية ١٤٤.

(١٧) **ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ١/ ٣١٨.

(١٨) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٣٩٠.

(١٩) سورة "**البقرة**": آية ٤٧.

وَرَدَ تعبير "بني إسرائيل" ثلاثة وأربعين مرّة في سورٍ مكّية[٢٠] ومدنيّة[٢١]. ردَّدَ محمّد الكثير من القصص البيبلية الخاصّة ببني إسرائيل في بداية بعثته النبوّية، يوم كان في مكّة يُعلن الإسلام أمام سامعيه من مُشركي قريش الذين يتناقلون القصص البيبليّة شفهيًّا، خصوصًا عن طريق الشعر[٢٢]، وحين كان بحاجة إلى إقناع الناس برسوليّته كونه مُرسلاً على غرار رُسُلِ بني إسرائيل، وخصوصًا موسى صاحب كتاب التوراة: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾[٢٣].

تكلّمَ عن استعباد فرعون لبني إسرائيل، وعن إرسال موسى بآيات ليخلّص شعبه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ١٠٣ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٠٥﴾[٢٤].

تكلّم عن عبور بني إسرائيل البحر وعن عبادتهم العجل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٢٥]. وتكلّم عن إنزال ألواح الشريعة لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢٦].

اختصر محمّد تاريخ موسى مع بني إسرائيل، لغاية في نفسه وهي اتّباع محمّد النبيّ الأمّيّ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٧]. كونه رسولاً من الله إلى أهل الأرض جميعًا، ورسالته للناس عامّة بمن فيهم بنو إسرائيل حيث كُتِبَ اسمه في توراتهم: "يُقيمُ لَكَ الرَّبُّ إلهُكَ نَبيًّا مِثلي مِن وَسَطِكَ، من إخوَتِكَ، فلَه تَسمَعون..."[٢٨].

كما كان محمّد قاضيًا باسم الله لبني إسرائيل مُستندًا إلى القرآن الذي يحتوي على كلّ موضوعات بني إسرائيل الخلافيّة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٢٩]. بالإضافة إلى ذلك، يجب على محمّد أن يعمل بالشريعة المُنزلة عليه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣٠]، أي يجب عليه أن لا يتبع أهواء الكفّار المشركين بل تتميم رسالة الله.

(٢٠) مثل سور: **الأعراف، يونس، والإسراء...**

(٢١) مثل سور: **البقرة، آل عمران، والمائدة...**

(٢٢) كانت الثقافة في أيام محمّد مواعظ شفهيّة، "مدارش، خصوصًا بين الخطباء العرب. Peters ٢٠٠٥: ١٠٨. كما كان في بداية القرن السابع ميلاديّ ظهور عبادة "الله" تُسَيطر على أهل قريش، وكان الكثير من الديانات البدائيّة تكوّن صور إيمانيّة لله المتعالي، الذي يُدعى أحيانًا إله السماء. تزامنت هذه الحركة الإيمانيّة مع تنزيل القرآن على محمّد، حيث بدأت قريش تتخلّى عن عبادة الأصنام في الكعبة، لتبحث عن الدّين الصحيح. Armestrong ٢٠٠١: ٦٩.

(٢٣) سورة "**الإسراء**": آية ٢.

(٢٤) سورة "**الأعراف**": آية ١٠٣– ١٠٥.

(٢٥) سورة "**الأعراف**": آية ١٣٨.

(٢٦) سورة "**الأعراف**": آية ١٤٥.

(٢٧) سورة "**الأعراف**": آية ١٥٧.

(٢٨) تث ١٨: ١٥.

(٢٩) سورة "**النمل**": آية ٧٦.

(٣٠) سورة "**الجاثية**": آية ١٨.

أمّا في المدينة حيث كان محمّد يتوجّه إلى قبائل يهوديّة لها كامل العلم بكتب التوراة[٣١]، فيُذكّر الله بني إسرائيل بنعَمِه عليهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٣٢]، "ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل، جلّ ذكره، اصطفاؤه منهم الرسل، وإنزاله عليهم الكتب، واستنقاذه إيّاهم ممّا كانوا فيه من البلاء والضرّاء من فرعون وقومه، إلى التمكين لهم في الأرض، وتفجير عيون الماء من الحجر، وإطعام المنّ والسلوى"[٣٣]. كان ذلك مقدّمةً لسلسلة الوَحي الذي يستمرّ مع محمّد وفي القرآن: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[٣٤]، أي صدّقوا ما أنزل على محمّد من القرآن، الذي يُصدّق لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة[٣٥].

ذكّرَ محمّد بني إسرائيل في المدينة أيضًا بما حَرّمه يعقوب من طعام: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٦]، وذلك ليُذكّرَهم بفرائض الحجّ التي وضعها إبراهيم في مكّة، ليتّبعوا ملّة إبراهيم الحنيف، أي ما يدعو إليه محمّد: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣٧]. أنزل الله ذلك على محمّد يوم رفض اليهود الذين اعتنقوا الإسلام حجّ البيت[٣٨]. كان ذلك كي لا يكذب بنو إسرائيل على الله بعد تلاوتهم التوراة برفضهم فرائض الحجّ.

نستنتج من ذلك التالي، يوم كان محمّد في مكّة بحاجة إلى إثبات رسوليّته على غرار رُسُلِ بني إسرائيل، أنزل الله آياتٍ توراتيّةٍ يسمّي الشعب اليهوديّ فيها "بني إسرائيل"، أنزل قصصًا مألوفةً لدى مُشركي قريش، الذين يفتّشون عن الدين الصحيح، ليُثبت رسوليّة محمّد سليل موسى والمكتوب في كتب التوراة، بمقابل تشكيك قريش بشرعيّة رسالته. أمّا في المدينة يوم كان محمّد في بداية هجرته، فأنزل الله آياتٍ مماثلة المضمون لآيات مكّة ليدفع القبائل اليهوديّة في المدينة إلى اتّباع دين إبراهيم بكامل فرائضه الذي ينادي به محمّد، أي يدعوهم إلى الإسلام.

٢- أهل الكِتاب

ميّزَ القرآن اليهود بـ"أهل الكتاب"[٣٩] عن عَرَب الجزيرة العربيّة الأُمّيّين الذين لا "كتاب لهم مُنزَل ولا نبيّ مُلهَم"[٤٠]: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

(٣١) كان في المدينة يثرب مدارس يهوديّة، وكان محمّد يذهب إلى تلك المدارس مع كبار المسلمين لمحادثتهم ومجادلتهم في ما كان يحدث بينهم من خلاف أو من أمر يريدون البتّ فيه. ويقال إنّهم عرضوا أمام الرسول كتبهم، فكان يقرأها له بعضهم ممّن دخل في الإسلام ومن كان له علم وفهم في العبرانيّة. **علي** ١٩٧٠: ٦/ ٥٤٤.

(٣٢) سورة "**البقرة**": آية ٤٠.

(٣٣) **الطبري**، جامع البيان: ١/ ٣٢٤.

(٣٤) سورة "**البقرة**": آية ٤١.

(٣٥) **الطبري**، جامع البيان: ١/ ٣٢٧.

(٣٦) سورة "**آل عمران**": آية ٩٣.

(٣٧) سورة "**آل عمران**": آية ٩٥.

(٣٨) **الزّحيليّ**، وآخرون ٢٠٠٤: ٦٣.

(٣٩) أهل الكتاب": لا تعني أهل الكتابة، بمعنى أنّهم كانوا أصحاب علم بالكتابة، وإنما المراد من ذلك أهل كتاب مُنزَل، سماويّ. ويدخل في ذلك النصارى أيضًا لوجود كتاب سماويّ لديهم هو الإنجيل. **علي** ١٩٧٠: ٦/ ٥٦٧.

(٤٠) **حتّي، جُرجي وجبّور** ٢٠٠٢: ١٢٨. هذا ما يؤكّده الطبري إذ يقول: "الأمّيّون" هم الذين لا كتاب لهم من مشركيّ العرب". **الطبري**، تاريخ الطبري: ٣/ ١٤٣.

فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤١].

قبل دخول محمّد في نزاعات مع اليهود في المدينة، أنزل الله عليه في مكّة عدم محاربة أهل الكتاب بل مجادلتهم بالكلمة لأنّهم يؤمنون بما يؤمن به الإسلام: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤٢]. لكن غير واحد قال: "هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنّما هو الإسلام أو الجزية أو السيف"[٤٣]. وقال آخرون: "بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبيّ بالقتال"[٤٤]. لكنّ هذه الآية نُسخت بالآية التالية: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٤٥].

يَتَحدَّى أهل الكتاب محمّد في المدينة إذ يسألونه: "إن كنت نبيًّا، فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤٦]: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[٤٧]. لكنّ الله أرسل لهم نور القرآن على يَدِ محمّد غافرًا خطاياهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[٤٨]. بمقابل ذلك رفضوا التوبة واستمرّوا بكفرهم جاحدين رسالة محمّد: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٤٩].

تمادى أهل الكتاب بكفرهم، فظاهر بنو قريظة الأحزاب وراسلوهم في قتالهم محمّد[٥٠]، فأنزل الله الرعب في قلوبهم قائلاً: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[٥١]. بالإضافة إلى ذلك، فقد تمنّى أهل الكتاب الشرّ للمسلمين، إذ عَيَّروهم بعد هزيمة وقعة أُحُد قائلين لهم: "ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ، ما هُزمتم، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم"[٥٢]، فأنزل الله فيهم التالي: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥٣].

(٤١) سورة "**آل عمران**": آية ٢٠.

(٤٢) سورة "**العنكبوت**": آية ٤٦. لكنّ نولديكه يعتبر أنّ هذه الآية مدنيّة، لأنّ السُوَر المكّيّة لا تتضمّن عبارة "أهل الكتاب"، بل تستخدم عبارات أخرى أطول، مثل "الذين أتيناهم الكتاب": ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ﴾، "**العنكبوت**": آية ٤٧. **نولديكه** ٢٠٠٤: ١٤٠.

(٤٣) **ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٠٢.

(٤٤) **الطبري**، جامع البيان: ٢١/ ٤.

(٤٥) سورة "**التوبة**": آية ٢٩. **الطبري**، جامع البيان: ٢١/ ٤.

(٤٦) **الزّحيلي**، وآخرون ٢٠٠٤: ١٠٣.

(٤٧) سورة "**النساء**": آية ١٥٣.

(٤٨) سورة "**المائدة**": آية ١٥.

(٤٩) سورة "**المائدة**": آية ٦٥.

(٥٠) **الطبري**، جامع البيان: ٢١/ ١٦١.

(٥١) سورة "**الأحزاب**": آية ٢٦.

(٥٢) **الزّحيلي**، وآخرون ٢٠٠٤: ١٨.

(٥٣) سورة "**البقرة**": آية ١٠٩.

أمّا قمّة كُفرهم، فكانت يوم حاولوا مَنع المسلمين عن إيمانهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥٤]. فأصدر الله الحكم المبرم عليهم قائلاً: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٥٥]، أي "أذلّهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين"[٥٦].

٣- المُنافقون

عَيَّرَ الله بعض أحبار اليهود في المدينة بـ"المنافقين" لأنّهم أعلنوا إيمانهم بالإسلام ظاهرًا، ونافقوا به سرًّا[٥٧]: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ"[٥٨]. زد على ذلك قد خصّهم الله بسورة قرآنيّة تحمل اسمهم "**المنافقون**"[٥٩]، إذ يحذر الله محمّدًا في بدايتها من عدم تصديق المنافقين: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٦٠]. "إنّما كذب ضميرهم لأنّهم أضمروا النفاق؛ فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنّهم أضمروا غير ما أظهروا"[٦١].

ثمّ انسحب هذا التعيير على جميع اليهود الذين نافقوا محمّدًا بجهادهم ورفضوا نُصرة الله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٦٢]. أنزل الله تلك الآية عندما خذل عبدالله بن أُبيّ الرسول في معركة أُحُد إذ قال: "ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه، من أهل النفاق والريب"[٦٣].

بالرغم من اختلاف المسلمين بقتل المنافقين أو عدم قتلهم[٦٤]، أنزل الله عليهم التالي: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[٦٥]، أي لا فائدة منهم، فهم مضلّو الله ولا نفع من هدايتهم لأنّ الحكم بهم مبرم وهو العذاب الأليم: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٦٦]، ممّا جعله يمنع المؤمنين من مجالستهم والاستماع لهم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ

(٥٤) سورة "**آل عمران**": آية ٩٩.
(٥٥) سورة "**آل عمران**": آية ١١٢.
(٥٦) **الطبري**، جامع البيان: ٤/ ٥٩.
(٥٧) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٣٦٩.
(٥٨) سورة "**البقرة**": آية ٨.
(٥٩) سورة "**المنافقون**" رقمها ٦٣ وعدد آياتها ١١.
(٦٠) سورة "**المنافقون**": آية ١.
(٦١) **الطبري**، جامع البيان: ٢٨/ ١١٩.
(٦٢) سورة "**آل عمران**": آية ١٦٧.
(٦٣) **ابن كثير**، المغازي النبويّة: ١٢٧.
(٦٤) **الزّحيليّ**، وآخرون ٢٠٠٤: ٩٣.
(٦٥) سورة "**النساء**": آية ٨٨.
(٦٦) سورة "**النساء**": آية ١٣٨.

جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٦٧]، أي لا خلاص لهم ولا وساطة أو هداية لأنّهم إلى جهنّم ذاهبون: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٦٨]. هذا ما دفع نولديكه إلى أن يقول: "يلخّص محمّد في هذه الآيات كلّ ما في قلبه من حقد على اليهود"[٦٩]؛ فعندما دخل محمّد في صراع علنيّ مع اليهود، طمأنه الله قائلاً: ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[٧٠].

٤ – اليهود

وَرَدَ تعبير "اليهود" ثماني مرّات في القرآن في ثلاث سور مدنيّة[٧١]. سَمّى الله أنصار المدينة في القرآن بـ"اليهود"، وهم الذين هاجر محمّد إليهم في المدينة وناصروه في غزواته. لكنّ الله حذّر المؤمنين أن يأخذوهم أولياء عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٧٢]. وسمّاهم يهودًا تمييزًا عن النصارى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[٧٣].

أنذر اليهود سابقًا برسول الله قبل ولادته، إذ قال ابن اسحاق: "لما كنّا نسمع من رجال يهود، كنّا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعضَ ما يكرهون، قالوا لنا: إنّه قد تقارب زمان نبيّ يُبعث الآن نقتلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم، فكنّا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم"[٧٤]. لكنّ محمّد عاد وهَجَّرَهم من المدينة وسَبَا أموالهم لأنّهم أَشَدُّ أعدائه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٧٥]. حدث ذلك بعدما أوحى الله لمحمّد أنّ دين إبراهيم الذي هاجر ويجاهد من أجله هو سابق لليهود ومستقلّ عنهم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧٦].

خلاصة

يوم بدأ محمّد بعثته النبويّة في مكّة حيث بدأت بالظهور إلى العلن حركات تطالب بالعودة إلى عبادة الله الواحد إله السماء، أُنزِلَتْ على محمّد آيات قرآنيّة تتكلّم عن تاريخ الله مع بني إسرائيل، كانت مألوفة لدى سامعيه من خلال التقليد الشفهيّ. أعطى الله من خلالها محمّد شرعيّة رسوليّة، وسلالة كتابيّة يهوديّة. كما كانت تلك الآيات سببًا أساسيًّا لاستقبال محمّد من أنصار المدينة، لأنّهم قبائل يهوديّة يؤمنون بما يؤمن محمّد به استنادًا إلى تلك الآيات.

(٦٧) سورة "النساء": آية ١٤٠.
(٦٨) سورة "النساء": آية ١٤٥.
(٦٩) نولديكه ٢٠٠٤: ١٨٣.
(٧٠) سورة "الأحزاب": آية ٤٨.
(٧١) سور: البقرة، المائدة، والتوبة.
(٧٢) سورة "المائدة": آية ٥١.
(٧٣) سورة "البقرة": آية ١٢٠.
(٧٤) ابن هشام، السيرة النبويّة: ١٦٤.
(٧٥) سورة "المائدة": آية ٨٢.
(٧٦) سورة "آل عمران": آية ٦٧.

لكن بعد غزوة "بدر"[٧٧] حيث نَصَرَ الله المسلمين على كفّار قريش بطريقة فائقة الطبيعة، طلب الله من محمّد الاستقلال عن اليهود من خلال تغيير اتّجاه القبلَة. اتّخذت بالظهور بعض الحركات اليهوديّة المشكِّكَة برسوليّة محمّد ودعوته، فأصبحوا حركة يهوديّة يدافعون عن كُتُبِهم وآبائِهم، فغيّرهم الله بالمنافقين. أمّا محمّد فباشر بإسقاطهم عسكريًّا وتهجيرهم قبيلة تلو الأخرى حتّى سيطر سيطرةً كُلّيّة على المدينة، فارضًا الإسلام على سكّانها أو العيش كأهل ذمّة.

لهذه الأسباب تغيّر الوَحي؛ فبعدما كان القرآن في مكّة يتكلّم عن نِعَم الله لليهود، وعن عنايته بهم، فما أن ساءت العلاقة في المدينة بين محمّد واليهود، اتّخذ الوَحي أشكالاً جديدة قاسية بحقّ اليهود، حتّى أنّ الله أعلن الحُكمَ المبرم فيهم وهو العذاب في النار، كونهم أشدّ الأعداء للمسلمين، لأنّهم يكذبون في قراءة التوراة، وينكرون رسوليّة محمّد المكتوبة في كتبهم. بالإضافة إلى ذلك، لأنّهم يرفضون فريضة حجّ البيت.

في النهاية، يحتلّ اليهود قسمًا كبيرًا من القرآن، وقد خصّ الله آباءَهم بسورٍ قرآنيّة على أسمائهم. كما احتوى القرآن على بعض تعاليمهم من عبادة الله الواحد، والحساب يوم القيامة، وفرائض الصوم والصلاة، وتحريم بعض المأكولات. لكن، بعد أن أخرجهم محمّد من المدينة، أخرجهم الله من القرآن.

المرجع

ابن كثير، تفسير ابن كثير = **ابن كثير الدمشقيّ** [**إسماعيل** عماد الدّين أبي الفداء بن عُمَر]، ٢٠٠٧. تفسير ابن كثير، ط جديدة، بيروت: الكتاب العالمي للنشر.

ابن كثير، المغازي النبويّة = **كنعان** محمّد بن أحمد (القاضي الشيخ)، ١٩٩٧. المغازي النبويّة، خلاصة: تاريخ ابن كثير، ط أولى، بيروت: مؤسسة المعارف.

حتّي فيليب، **جُرجي** إدوار **وجبّور** جبرايل، ٢٠٠٢. تاريخ العرب، ط حادية عشرة، بيروت: دار الكشاف.

زحيلي (ال) وهبة وآخرون، ٢٠٠٤. الموسوعة القرآنيّة الميسّرة، ط ثالثة، دمشق وبيروت: دار الفكر ودار الفكر المعاصر.

ابن هشام، السّيرة النبويّة = **سقّا (ال)** مصطفى، **الأبياريّ** إبراهيم **وشبلي** عبد الحفيظ (تحقيق وضبط وشرح)، ٢٠٠٤. السّيرة النبويّة لابن هشام، بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، تاريخ الطبري = **طبري (ال)** أبي جعفر محمد بن جرير، ٢٠٠٨. تاريخ الطبري، ط رابعة، بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، جامع البيان = **طبري (ال)** ابن جرير، ٢٠٠١. جامع البيان، ط أولى، بيروت: دار الفكر.

علي جواد، ١٩٧٠. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، بيروت: دار العلم للملايين.

نولدكه تيودور، ٢٠٠٤. تاريخ القرآن، ط أولى، بيروت: كونراد – أدناور.

Armestrong Karen, 2001. Muhammad a Biography of the Prophet, London: Phoenix Press.

Peters F. E. 2005. Islam. a Guide for Jews and Christian, New Jersey: Princeton University Press.

(٧٧) "كانت ليلة بدر الجمعة، السابعة عشر من شهر رمضان، سنة اثنتين من الهجرة". **ابن كثير**، المغازي النبويّة: ٣٤.

من اللّه إلى البشريَّة
في المسيحيّة وفي الإسلام

المونسنيور بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمة

اعتاد العديد من المتحاورين بين المسيحيَّة والإسلام، أن يلتقوا حول مواضيع خلقيّة، مثل العدل والسلام والرحمة والظلم، حول القيم والحقوق والواجبات، حول الإصغاء إلى كلام الله وقراءة علامات الأزمنة[١]. وإن طُرح موضوع الله[٢]، مثلاً، يقدِّمُ كلُّ فريق فكرته دون اللقاء مع الآخر، وما يمكن للواحد أن يقدِّم لمن يحاوره. وقُدِّمت المفاهيم القديمة على مستوى الفلسفة واللاهوت، في ما يخصُّ مثلاً التوحيد والتثليث. يقول المسيحيُّون: "الله واحد في الجوهر، مثلَّث في الأقانيم، ومن المسلمين من يَذكر توحيد المسيحيِّين ويُرجع الاعتقاد بالأقانيم الثلاثة إلى الاعتقاد بثلاثة آلهة"[٣]. غير أنَّ المؤرِّخين يوردون ما يقوله المسيحيُّون دون أن يأخذوا موقفًا. نذكر مثلاً الطبريّ في **الردّ على النصارى**[٤]: "فأوَّل الشريعة ومساحتها: نؤمن بالله الواحد الآب مالك كلِّ شيء، وبالربِّ الواحد يسوع المسيح...، ونؤمن بروح القدس الواحد..؛ فهذه الشريعة تجتمع على الإيمان بها... جماهير النصارى، الملكيَّة واليعقوبيَّة والنسطوريَّة". ونقول الشيء عينه عن القاسم بن إبراهيم الحسنيّ في **كتاب الردّ على النصارى**[٥]: وكذلك قالت النصارى إنَّ الله خَلق الأشياء بابنه نفسه. وحفظها ودبَّرها بروح قدسه، وإنَّ الابنَ خلَقَ الخلق وفطره Démiurge، وإنَّ روح القدس حفظ الخلق ودبَّره". ونقرأ في الكتاب نفسه: "زعمت النصارى كلُّها أنَّ الله سبحانه ثلاثة أشخاص (نقول نحن أقانيم)، وأنَّ تلك الأشخاص الثلاثة كلَّها طبيعة واحدة متَّفقة... آب وابن وروح قدس. قالوا: فالآب غير مولود، والابن فابن مولود، وروح القدس لا والد ولا مولود...". ولكنَّ المسلمين عمومًا نقضوا التوحيد مع التثليث. أورد ثاودورس أبو قرَّة، أسقف حرَّان الملكيّ

(١) نشير بشكل خاصٍّ إلى سلسلة "المسيحيَّة والإسلام في الحوار والتعاون" التي تصدر عن مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ (حريصا، لبنان)، وتنشرها المكتبة البولسيَّة مشكورة، وقد وصلت إلى العدد ٤٨: "التصريح النهائيّ للندوة المسيحيَّة الإسلاميَّة الدوليَّة" حول طاولة مستديرة، فيينّا، ٢٠١٠.

(٢) **الله في المسيحيَّة والإسلام**، سلسلة "المسيحيَّة والإسلام"، العدد ٢٠.

(٣) بولس الخوري، **المفاهيم عند المسلمين، التوحيد والتثليث**، المكتبة البولسيَّة، ٢٠٠٨، ص ٢٤.

(٤) **المرجع السابق**، ص ٢٥. نُشر هذا الكتاب في "متفرّقات جامعة القدِّيس يوسف"، بيروت، ص ١٣٦.

(٥) **المرجع السابق**، ص ٢٥. نشر الكتاب.
Ignazio di Matteo, « Confutazione contro I cristiani dello Zaydita Al-Qâsim b.-Ibrahim », *Rivista degli Studi Orientali*, 1922, p. 308.

(+٨٢٥) نصَّ **المجادلة مع المأمون**: "فامتلأ الكوفيُّ غيظًا، وقال: "أخبرني عن الآب والابن والروح القدس، ثلاثة هم أم اثنين أم واحد. إن كانوا واحدًا، فالمسيح مخلوق كما قلنا. وإن كانوا اثنين. فيجب أن يكون أحدُهم أكبر من الآخر وأعظم. وإن كانوا ثلثة، فعيِّنْ لنا منزلة كلِّ واحد منهم وقدرته، حتّى نميِّز وننذر (أي: نعلم) كلامك هذا الذي تتميَّز فيه العقول الراجحة، وتهرب منه المحاججة"[٦].

كيف يكون التلاقي بين الإسلام والمسيحيَّة، وماذا يمكن أن تقدِّم المسيحيَّة للإسلام وللعرب، أمّا موضوعنا فيدور حول ثلاثة مفاهيم: الله، الإنسان، العلاقة بين الله والإنسان في من هو إله وإنسان يسوع المسيح. في خطوة أولى نقرأ ما يقوله الإسلام عن الله، في خطوة ثانية، ما يقوله المسيحيُّون، وفي خطوة ثالثة نحاول أن نمدَّ جسرًا به يصل المسلم إلى المفهوم المسيحيّ.

١. الله

الله هو في الإسلام الاسم المعطى للإله الوحيد، الواحد، الخالق، سيِّد العالمين وربِّ الدينونة. يرجع اللفظ العربيُّ إلى العالم الساميّ: إيل، إل. أمّا "أللهمَّ" فالنداء للفظ العبريّ: إ ل ه ي م، لفظ يُستعمَل في الدعاء والصلاة. نشير إلى أنَّ اسم الله استُعمل في الحقبة القبإسلاميَّة، ولاسيَّما عند المسيحيِّين. كما في مدوِّنة تعود إلى القرن السادس، وقد وُجدت في أمِّ الجمال. ونتذكَّر أنَّ والد محمَّد اسمه "عبد الله"[٧].

في هذا المجال، يوجز أ. يوسف القزّي النظرة إلى الله فيقول: "إله القرآن إله واحد، أحد، صمد، لا يشاركه أحدٌ في وحدانيَّته، ولا في ماهيَّته وطبيعته، ولا في عبادته". العبارات عديدة في هذا المعنى: "لا إله إلاَّ الله". "الله إله واحد". "إلهكم إله واحد"[٨].

ونقرأ سورة الإخلاص (١١٢): "قُل هو الله أحد، الله الصمد. لم يلِدْ ولم يُولَد ولم يكن له كفوًا أحد". هذه السورة تجمع جوهر النظرة إلى الله: واحد، أحد، يتسامى على دورة العلل الخاصَّة بالخلق. هنا نجد رفضًا للثالوث: "لم يلد". ذاك ما يقوله المسيحيُّون عن الآب. "لم يُولَد". هو رفض للابن "المولود من الآب قبل كلِّ الدهور" "لا كفوء له". يرفض التجسُّد والكلام عن المسيح "المساوي للآب في الجوهر".

هذا الإله "الواحد، الأحد" لا شريك له في الخلق. وهو سيِّد المصائر، يجازي كلَّ نفس بحسب ما كان لها خلال حياتها على الأرض. وبما أنَّه الخالق، فهو يأتي بكلِّ شيء إلى الوجود. وهو من يقود البشر في طريق يجهلونها: يقودهم في طريق الخير كما يمكن أن يُضلَّهم. نلاحظ هنا الاقتراب من أسفار العهد القديم. هذا الإله هو "القهّار"، "الجبّار"، "الجليل"، "الجميل". يعاقب ويغفر. الله هو "الرحمن الرحيم"؛ فحين الكلام عن الله، يطلُّ بُعدُ الرحمة: رحمة لا حدود لها بالنسبة إلى الإنسان. رحمة لا حدود لها بالنسبة إلى كلِّ إنسان. رحمته تشمل الكون.

الله هو التسامي المطلق. هنا يأتي الكلام عن التنزيه: الله منزَّه عن الشريك، وعن الولد، والوالد، والزوج: "فتعلى (فتعالى) الله الملك الحقّ، لا إله إلاَّ هو ربُّ العرش الكريم (سورة المؤمنون، ١١٥: ٢٣: ١١٦). ونقرأ في سورة الجنّ: "لن نشرك بربِّنا أحدًا، وأنَّه تعلى

(٦) الحاشية ٦، ص ٦–٧. وفي محاورة مع البطريرك النسطوريّ طيماثاوس، نجد الهجوم ذاته مع بعض استهزاء: "أيُّ تمييز يُوجَد بين الابن والروح، وكيف أنَّ الابن ليس بالروح، والروح ليس بالابن...".

(7) P. Ballanfat, « Allah », dans *Dict. du Coran* (= *DDC*), Robert Laffont, Bouquins, Paris, 2007, p. 40.

نشير إلى أنَّ اسم الله، يرد ٩٨٠ مرَّة، و"أللَّهمَّ"، ٥ مرَّات، و"الإله" ومشتقّاته ١٥٧ مرَّة. المجموع ١١٤٢. وهكذا يدور كلُّ ما في القرآن والإسلام حول الله. راجع أ. جوزف قزّي، **هذا هو الإسلام**، دار لأجل المعرفة، دار عقل – لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٥١.

(٨) **هذا هو الإسلام**، ص ١٥٢.

(تعالى) جدّ ربِّنا ما اتَّخذ صحبة ولا ولدًا" (٧٢: ٢–٣) "الله لا مقابل له، لا وصفَ له، لا شريك له، لا ولد له، لا صاحبة". قال القرآن الكريم: "أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة". وقال: "لم يَلد ولم يُولَد". وفي سورة المائدة: "كفرَ الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم". ثمَّ: "كفرَ الذين قالوا: إنَّ الله ثالث ثلاثة".

الله هو المتسامي. إذًا هو البعيد البعيد. ومع ذلك يصوَّر أنَّه القريب في ما يُدعى التشبيه[٩]. له وجه وعين ويد، مثل الإنسان. هو يسمع، يبصر، يجلس. ففي سورة طه: "الرحمن على العرش استوى" (٢٠: ٥. جلس مثل الملك). وفي سورة الفتح: "إنَّ الذين يبايعونك إنَّما يبايعون الله: يد الله فوق أيديهم" (٤٨: ١٠). يد الله حاضرة. وكذلك وجهه كما تقول سورة الرحمن: "كلُّ من عليها (= الأرض) فانٍ، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلل (أو: الجلال) والإكرام" (٥٥: ٢٦–٢٧). كم نحن قريبون من نصوص التوراة. في سورة الطور: "واصبر لحكم ربِّك، فإنَّك بأعيننا" (٥٣: ٤٨: تحت نظرنا). وفي الكلام على نوح يقول الله، في سورة القمر: "وحملنه (= وحملناه) على ذات ألوح (= ألواح) ودسر (= مسامير) تجري بأعيننا" (٥٤: ١٣–١٤).

في هذا الإطار نقرأ مثلاً في الزبور أو سفر المزامير: "فيا ربُّ، يا إلهنا، ارفعْ علينا نور وجهك" (٤: ٧). "إلى متى يا ربُّ تنساني، وتحجب وجهك عنّي" (١٣: ٣). عبارات عديدة تتحدَّث عن "وجه" الله. والمؤمن يحدِّثه كما يحدِّث والده أو والدته. يستنير وجهُ الربِّ، فنحسُّ برضاه، وتمتدُّ يدُه فيفعل كما الإنسان يفعل. ففي ضربات مصر، نعرف أنَّ "يد الربِّ تضرب" (خر ٩: ٣). ويحدِّثنا النبيُّ حزقيّال عن "يد الربِّ القويَّة وذراعه الممدودة" (٢٠: ٣٣). وفي خبر برج بابل، نقرأ: "نزل الربُّ لينظر المدينة والبرج" (تك ١١: ٥). من أين نزل؟ وهل له عينان مثلنا لكي ينظر. ثمَّ يقال: "تكلَّم" (تك ١١: ٥–٦).

هذا الإله الذي لا "يصوَّر" في العالم اليهوديِّ كما في العالم الإسلاميّ، يتسامى تساميًا مطلقًا على الخليقة التي هو باريها، وهو في الوقت عينه حاضر على هذه الخليقة التي ترجو أن تلتقي به، مع أنَّه ليس "شخصًا" كما يقول التقليد المسيحيّ؛ فالله هو السرُّ (الغيب، ٢: ٢) الذي لا يُدرَك، وفي الوقت عينه ذاك الذي تجلَّى بواسطة خليقته وفي خليقته. من جهة، نقرأ في سورة الحديد: "له مُلك السماوات والأرض، يحيي ويُميت، وهو على كلِّ شيء قدير. هو الأوَّل والآخر، والظهر (والظاهر) والباطن، وهو بكلِّ شيء عليم. هو الذي خلق السماوات والأرض في ستَّة أيّام، ثمَّ استوى على العرش... وهو معكم أين ما (= أينما) كنتم" (٥٧: ٢–٤). نقرأ هنا نشيد حنَّة أمِّ صموئيل (١ صم ٢: ٦)، وإشعيا النبيّ (٤٤: ٦؛ ٤٨: ١٢)، وبداية سفر التكوين الذي يتحدَّث عن الخلق في ستَّة أيّام، بحيث يستريح الله في اليوم السابع، هو والإنسان. هو الإله الخفيُّ فلا نراه، وهو الظاهر الذي نشاهده بعيوننا. هو في السماء (٦٧: ١٦)، وهو على الأرض (٥٠: ١٦)، الملك على الأرض. أمّا العبارة التي تدلُّ بشكل كبير على قرب الله منّا، فنقرأها في سورة ق: "ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" (٥٠: ١٦).

اهتمَّ القرآن بتحديد الله من كلِّ ما يمسُّ وحدانيَّته وتساميه: هذا يعني رفض عقيدة الثالوث وعقيدة التجسُّد؛ فالله الذي هو الغنيّ، الجوّاد في ذاته، لا يحتاج إلى أحد بل يكفي نفسه بنفسه. وإن هو اهتمَّ بالخليقة فلأنَّه الرحمان الرحيم. أمّا خطيئة الكفر التي لا تُغفَر فهي الشرك والمساس بوحدانيَّة الله، كما نقرأ في سورة النساء: "إنَّ الله لا يَغفر أن يُشرَك به. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن يشرك بالله فقد اقترف إثمًا عظيمًا" (٤: ٤٨).

* * *

(9) *DDC*, p. 42.

وماذا تقول المسيحيَّة؟ عُرف إله العهد الجديد بصوت الذين حملوا البشارة، الإنجيل، الذي توجَّه أوَّلاً إلى بني إسرائيل (رو ١: ١٦) ثمَّ إلى جميع البشر. أمّا الجديد الذي أُعلن فهو أنَّ الله يهبُ ذاته كلَّها إلى ابنه يسوع، كما يهبها لنا بواسطة ابنه: "كيف لا يعطينا مع ابنه كلَّ شيء؟!" (رو ٨: ٣٢).

أمّا علاقة يسوع بالآب فتقوم على الاختلاف بين الاثنين؛ فالابن ليس الآب، والآب ليس الابن. فيسوع يؤدِّي العبادة لله، شأنه شأن معاصريه. وقال: "الله وحده هو الصالح". وصرخ من أعلى صليبه: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟". فالآب المسمَّى الله، تجاوب مع يسوع وأقامه (أع ٣: ١٤–١٥) ورفعه (أع ٥: ٣١) وجعله ربًّا ومسيحًا (أع ٢: ٣٦)، رئيسًا ومخلِّصًا (أع ٥: ٣١). وقالت الرسالة إلى رومة عن يسوع أنَّه "أقيم ابن الله" (١: ٤).

وهذا الاختلاف هو الاختلاف بين الآب والابن. وطابعُ بنوَّة يسوع هو **فريان** monogènes. يسوع هو الابن الخاصُّ لله (رو ٨: ٣٢)، الابن الحبيب. هي علاقة الأبوَّة والبنوَّة: الحياة التي أعطاها الله هي حياة يتقبَّلها يسوع الذي هو في صورة الله (فل ٢: ٦). والأناجيل تبيِّن هذه السلطة: قيل لكم في الشريعة، أمّا أنا فأقول لكم. سلطة تُحرِّر من كلِّ شرٍّ، تغفر الخطايا، تدعو الناس لكي يتألَّموا من أجله (مت ٥: ١١). وإنجيل يوحنّا يُسمعنا أقوال يسوع: "من رآني رأى الآب" (١٤: ٣). "كلُّ ما لي هو لك، وكلُّ ما لك هو لي" (١٧: ١٠). "أنا والآب واحد" (١٠: ٢٨). وبعد القيامة، يدعو توما يسوع، "ربِّي وإلهي" (٢٠: ٢٨).

هي وحدة الله ووحدانيَّته: "ما يعمله الآب يعمله الابن: الآب يقيم الموتى ويحييهم، والابن يقيم ويحيي من يشاء". أو: "أبي يعمل وأنا أعمل"؛ فالأمثلة عديدة في إنجيل يوحنّا. وبعد صعود الابن، يواصل الروح القدس عمل الابن: "الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، سيعلِّمكم كلَّ شيء ويذكِّركم بكلِّ ما قلته لكم" (١٤: ٢٦).[١٠]

انطلق آباء الكنيسة من العهد الجديد فتحدَّثوا عن الله، أبي يسوع المسيح. وتواصل كلامهم فوصل إلى الله الثالوث، كما قيل في مجمع نيقية: "نؤمن بإله واحد آب قدير، خالق كلِّ ما يُرى وما لا يُرى. وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب، أي من جوهر الآب وبالروح القدس". وكمَّل مجمع القسطنطينيَّة مقال نيقية: "وبالروح القدس الربِّ المحيي المسجود له والممجَّد". ونورد هنا رسالة موجَّهة إلى أساقفة الشرق.

كلُّنا نقول بفم واحد أنَّ الثالوث هو ذو قدرة واحدة، وجلال واحد، وألوهيَّة واحدة، وطبيعة واحدة، بحيث نقول إنَّها قدرة لا تنفصل، ومع ذلك ثلاثة أقانيم... والكلمة ليس مقولاً بحيث ننفي عنه الولادة، ولا ناقصًا بحيث يفتقد شخصُه طبيعة الآب أو ملء اللاهوت، وليس الابن غير مماثل في العمل، وغير مماثل في القدرة، أو غير مماثل في كلِّ شيء، ولا هو يقوى بغيره، وإنَّما هو مولود من الآب لا كإله زور، ولكنَّه وُلد إلهًا حقًّا من إله حقٍّ، نورًا من نورٍ حقّ، فلا يُحسَب منقوصًا، ولا غير مماثل...

ونعترف أيضًا بأنَّ الروح القدس غير مخلوق، وذو جلال واحد، وطبيعة واحدة وقدرة واحدة، مع الآب وربِّنا يسوع...[١١].

لماذا التشديد على الثالوث؟ لأنَّ هذا تعليم العهد الجديد. وهو يقول لنا إنَّ الله شخص، personne، لا فرد واحد؛ وحين نتحدَّث عن الشخص نقول "علاقة". ولكي تكون العلاقة متكاملة، لا بدَّ من ثلاثة أشخاص

(10) P. Beauchamp, « Dieu, 2, Nouveau Testament », *Dict critique de théologie* (= *DCT*), p. 319-320.

(١١) **الكنيسة الكاثوليكيَّة في وثائقها**، المطبعة البولسيَّة، ٢٠٠١، ص ٥٤–٥٥. هذا الكلام وجَّهه البابا دماسيوس الأوَّل سنة ٣٧٤.

على الأقلّ. وإذ نقول إنَّ في الله ثلاثة أقانيم، ثلاثة أشخاص، نعلن أنَّها علاقة تامَّة، كاملة. الصورة البعيدة هي العائلة على الأرض. الآب هو أب وأمٌّ معًا. ولد ابنه منذ الأزل. والروح القدس هو الحبُّ الجامع بين الآب والابن. لم يعد الحبُّ عاطفة، بل شخصًا حيًّا. وهكذا نستطيع أن نتكلَّم عن "عيلة الثالوث الأقدس". أجل، ليس إلهنا ذاك البعيد، الجالس على عرشه في السماء، الذي يتصرَّف كملك له ملء السلطان بحيث لا يناقشه أحد. إلهنا هو عيلة مفتوحة، بحيث إنَّ الابن الوحيد لا يستحي بأن يدعونا إخوته وأخواته؛ فالروح القدس يئنُّ في قلوبنا ويعلِّمنا أن نقول لله "أبّا"، مثل الأطفال. ونسمع الرسول يقول: "ونحن نعلم أنَّ الله يعمل سويَّة مع الذين يحبُّونه لخيرهم في كلِّ شيء. أولئك الذين دعاهم حسب قصده؛ فالذين سبق فاختارهم، سبق فعيَّنهم ليكونوا على مثال صورة ابنه حتَّى يكون الابن بكرًا لإخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٨–٢٩). وهكذا ينتفي الخوف من القلوب، لأنَّنا لسنا بعدُ عبيدًا، بل نحن أبناء، وبما أنَّنا أبناء، فنحن ورثة مع الابن الذي أحبَّنا وضحّى بنفسه لأجلنا.

* * *

كيف يمكن أن يلتقي المسيحيُّ مع المسلم في النظرة إلى الله؟ فالله في الإسلام ليس شخصًا، بمعنى أن ليس له علاقة؛ فهو واحد، وحيد، نقترب إليه ورأسُنا في التراب والرماد، كما قال سفر أيّوب. هو يعاملنا بالرحمة وهو حرٌّ في معاملته لنا بحيث لا يحقُّ لأحد أن يناقشه أو يسأله. ومع ذلك يُقال إنَّ هذا الإله يسمع، يرى، يتكلَّم... هل نحن على مستوى المجاز أم على مستوى الحقيقة؟ في المسيحيَّة نحن على مستوى الحقيقة. وحين تجسَّد الابن الذي هو الأقنوم الثاني في الثالوث، استطاع يوحنّا أن يقول في رسالته الأولى: "الذي سمعناه، ورأيناه بعيوننا، الذي تأمَّلناه ولمسته أيدينا... به نبشِّركم"، "لتكونوا أنتم أيضًا شركاءنا كما نحن شركاء الآب وابنه يسوع المسيح" (١: ١، ٣).

كيف يكون اللقاء بين المسيحيَّة والإسلام؟ على مستوى الله الخالق؛ فالمؤمن يعرف أنَّ الله ليس ذاك الكائن المتعالي الذي لا يهتمُّ بخليقته، ولا ذاك المحرِّك الأوَّل الذي يحرِّك العالم، كما قال أرسطو، ولا هو قدرة وسلطان وحسب. هو ذاك الذي خلق العالم[١٢]. وتنطلق المسيرة: لماذا خلق الله العالم، لماذا خلقنا؟

أعطيَتْ أجوبة فرُفضت: خلقَنا الله عَرَضًا وما أراد حقًّا أن يخلق. كانت غلطة، كما قالت الأساطير الرافدينيَّة، أو كما نقرأ في الكتاب المقدَّس: "وندم الربُّ أنَّه صنع الإنسان على الأرض، وتأسَّف في قلبه" (تك ٦: ٦). مساوئ الإنسان كثيرة والشرُّ يملأ قلبه! (آ ٥).

وأعطيَ جواب آخر: ضجر الربّ، ملَّ الجلوس على عرشه ولا أحد قربه "ينشد له، يعلن مدائحه، يسجد له"؛ فالإله الوثنيُّ زوش أو زيوس أتى إلى الأرض وأراد أن يؤسِّس عيلة. طلب "صاحبة" ينجب منها أولادًا. هكذا قيل مثلاً عن جوبتر، ملك السماء، الذي اتَّخذ له Junon وجعلها ملكة.

وجواب ثالث: لم يكن لدى الله سببٌ، فخلقنا اعتباطًا. لا نبحث عن العلَّة، حيث بدا الله وكأنَّه "يلعب".

ونقرأ مقطعًا أوَّل لبولس البوشيّ، أسقف مصر سنة ١٢٤٠، يدلُّ على تسامي الله[١٣]:

قديم لا يتقدَّمه شيء، أزليٌّ لا يُحَدُّ له زمان
خالق لا مخلوق، ضابط لا يُحتوى عليه
قويٌّ لا يُقهَر، سيِّد لا يسوده شيء
فوق الوقت والزمان والمكان.

(12) Samir Khalil Samir, « Une lecture de la foi chrétienne dans le contexte arabo-musulman », *Proche-Orient Chrétien*, tome 42/1-2 (1992) 57-125, ici p. 64.

(١٣) **مقالة في التثليث والتجسُّد وصحَّة المسيحيَّة لبولس البوشيّ**، تحقيق ودراسة وفهرسة كاملة للأب سمير خليل اليسوعيّ، التراث العربيّ المسيحيّ، ٤، ١٩٨٣، توزيع المكتبة البولسيَّة، جونيه، ص ١٣٢–١٣٣.

كلٌّ به كان، وبغيره لم يكن شيء ممّا كان (يو ١ : ٣)

حاجةُ الكلِّ إليه، وهو غير محتاج إلى ما لديه.

به قوامُ الكلِّ. وهو بارئهم ومحييهم،

ثمَّ إليه مصيرهم.

هل احتاج إلى أحد حين خلق؟ هل هو ضعيف؟ هل أحسَّ بالملل فأراد أن يجد من يسلِّيه؟ كلُّها أفكار بشريَّة؛ فاللاهوتيُّون يتَّفقون على القول إنَّ الله رأفةٌ، رحمةٌ، لطفٌ، جودٌ[١٤]. ولكنَّنا نودُّ أن نتوقَّف عند صفة السخاء والعطاء المجَّانيّ. يتحدَّث القرآن عن الإله "**المنّان**" (١٤ : ١١، سورة إبراهيم)، والأحاديث النبويَّة عن **الجوّاد**. يقول المعتزلة مثلاً: "الله يفعل للبشر ما هو الأصلح لهم، منذ هذا العالم، كما في يوم الدِّين". قال الشهرستانيّ، في **الملل**: "الله جوّاد في جوهره. وعلَّة وجود الكون جودُه"؛ فإذا كان الله خلق الكون، فلأنَّه الجوَّاد والمعطي والوهَّاب...

هذا ما يلتقي مع ما قال يوحنّا وبولس: "تلك هي المحبَّة. ما نحن أحببنا الله، بل هو الذي أحبَّنا" (١ يو ٤ : ١٠). وفي آ ١٩ نقرأ: "فعلينا أن نحبَّ لأنَّ الله أحبَّنا أوَّلاً". أمّا القدِّيس بولس فيُعلن في الرسالة إلى رومة: "إنَّ الله برهن عن محبَّته لنا بأنَّ المسيح مات من أجلنا ونحن بعدُ خاطئون" (٥ : ٨). وفي الرسالة إلى غلاطية: "أحبَّني وبذل نفسه عنِّي" (٣: ٢٠). الله يطلب الإنسان قبل أن يطلب الإنسانُ الله؛ فالمبادرة هي من الله، وهي دومًا مبادرة حبّ.[١٥]

من الجود يمكن أن ننطلق. إذا كان اسم من أسماء الله هو الجوّاد، فهذا يرتبط بطبيعته. وهذا الجود نكتشفه في الخلق. وبما أنَّ الخلق لا يمكن أن يكون أزليًّا، يُفرَض علينا القول إنَّ الله تغيَّر. ولكنَّ هذا غير معقول؛ فالجود هو في الله، وكذلك الحبُّ والرحمة. فكيف يمكن أن يُوجَد الحبُّ مع العائش وحده في سمائه؟ لا جواب إلاَّ في المسيحيَّة، حيث الله عيلة كاملة، الآب والابن والروح القدس، وإلاَّ تكون الأسماء الحسنى صفات عرضيَّة لم تكن في الله، ثمَّ كانت في وقت من الأوقات.

٢. الإنسان

الله ذاك الجوّاد خلق الإنسان؛ فالخلق تعليم الأساسيّ في القرآن: فوحدة الله المطلقة (هو الصمد) وقدرته الخلاَّقة، ولطفه ورحمته وعدالته، كلُّ هذا نكتشفه في الخلق؛ فنحن كما في حلقة؛ فبداية الخلق ونهايته هما في مشيئة الله الذي يخلق ويوجِّه الخليقة كلَّها، ويقود الإنسان في الصراط المستقيم. والخلق كتجلِّي جوهر الله هو مجموعة آيات تتيح للبشر أن يعرفوا ربَّهم ويوجِّهوا قلوبهم نحوه. "إنَّ في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين. وفي خلقكم وما يبثُّ من دآبة، آياتٌ لقوم يوقنون" (٤٥ : ٣–٤)، أي يؤمنون إيمانًا ثابتًا. غير أنَّ هذه الآيات تبقى مغلقة على البشر. لهذا فهي تتوجَّه إلى الفهماء والعقلاء؛ فهؤلاء وحدهم يقودهم الله: "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البَرّ والبحر. قد فصَّلنا الآيات لقوم يعملون" (٦ : ٩٧). أجل هذه الآيات هي المؤمنون كما نقرأ في سورة النور: "يقلِّب الله الليل والنهار. إنَّ في ذلك لعبرة لأولي

(14) D. Gimaret, *Les noms divins en Islam*, Patrimoines, Islam, Cerf, Paris, 1988.
هي الأسماء الحسنى: القادر والقدير، العالم والعليم، الخالق والخلاَّق والباري، الرحمان والرحيم، الرازق والجوّاد...

(١٥) نشير هنا إلى أنَّ اللاهوتيِّين المسيحيِّين لم يتحدَّثوا كثيرًا عن المحبَّة، لأنَّ هذا المفهوم غير متواتر عند المسلمين. أراد القشيري والرازي أن يريا في لفظ "وليّ"، "المحبّ". قالا: "يحبُّهم (حاشية ١٤، ص ٤٢٣). "الله وليّ الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور" (سورة البقرة، ٢٥٦). وكانت صفة "ودود" حيث يقال عن الله "وهو الغفور الودود" (سورة البروج، ٣).

الأبصار"[١٦]. وفي سورة الفرقان: "ولقد حرَّفنه بينهم ليذكروا، فأبى أكثر الناس إلاَّ كُفورًا"[١٧]. وهذا التذكُّر يعود بنا إلى عهدٍ قُطع بين الله والبشر. وذلك منذ البداية؛ ففي يوم الدين يسأل الله كلَّ إنسان حول إيمانه: "وإذا أخذ ربُّك من بني آدم، من ظهورهم، ذرِّيَّتهم، وأشهدهم على أنفسهم: "ألستُ بربِّكم؟!" قالوا: "بلى، شهدنا!". أن تقولوا يوم القيامة: "إنَّا كنّا عن هذا غافلين".[١٨]

مفهوم الخلق هذا في الإسلام[١٩]، لا يبتعد كثيرًا عمّا نقرأ في الكتاب المقدَّس. إذا كان القرآن استعمل فعل "خلق" بشكل عامّ، وبعض المرّات "برأ" (البارئ)، فاللغة العبريَّة استعملت ألفاظًا مجازيَّة: ع ث ه (صنع)، "ي س د" أو "ك و ن" (كوَّن). ثمَّ "ب ن ه" (بنى، كما في العربيَّة)، "ي ص ر" (جبلَ). أمّا فعل "ب ر ا" فجاء متأخِّرًا، خصوصًا مع إشعيا وفي نشيد التكوين: "في البدء برأ (خلق) الله السماوات والأرض" (١: ١). هذا النشيد جعل عمل الله يتكوَّن في مسيرة الزمن. الله يعطي اسمًا لكلِّ خليقة، ثمَّ يباركها، وصولاً إلى الإنسان "الذي يخلقه على صورته كمثاله، رجلاً وامرأة، ذكرًا وأنثى" (آ ٢٦). أمّا الرواية التي ارتبطت ببلاد الرافدين وبعدد من الحضارات القديمة، فقد توخَّت أن تبيِّن مسؤوليَّة الإنسان في ما يحسُّ به من تعب ووجع (تك ٢: ٤–٣: ٢٤). وسفر إشعيا في قِسمه الثاني (ف ٤٠–٥٥)، الذي كُتب في زمن المنفى (٥٨٧–٥٣٨ ق. م.)، يربط بين الخلق ووحدانيَّة الله. وحده خلق، إذًا وحده موجود، وسائر الآلهة هي بعض الحجر أو الخشب المطليّ بالفضَّة والذهب. كما يربط بين الخلق والخلاص، بين الكون والتاريخ.[٢٠]

إنَّ القرآن يذكِّر أنَّ الخليقة كلَّها هي من جود الله وعلامة قدرته. نستطيع أن نقرأ سورة الرحمن: "علَّم القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، الشمس والقمر بحسبان. والنجمُ والشجر يسجدان"؛ فالله خلق السماء والأرض، الظلمة والنور. وخلق الإنسان من صلصل كالفخّار"، ونفخ في أنفه نسمة حياة (٦: ٢). وتجلَّت قدرة الله عبر كلمته الخلاَّقة التي عبَّرت عن مشيئته الإلهيَّة؛ ففي سورة آل عمران: "الله يخلق ما يشاء. إذا قضى أمرًا فإنَّما يقول له: "كن"، فيكون". هنا نتذكَّر ما يقوله مز ٣٣: ٦–٩: "قال فكان كلُّ شيء، وأمر فصار كلُّ موجود". وما تقوله رسالة القدِّيس بولس إلى العبرانيِّين: "بالإيمان نعرف أنَّ العالم تكوَّن بكلمة الله" (١١: ٣).

والخلق لم يكن عملاً من الماضي وتوقَّف، بل هو يتواصل على الدوام ويتجدَّد، كما نقرأ في سورة النمل: "آمَّن! يبدأ الخلقَ ثمَّ يعيده". وفي سورة يس: "أوليس الذي خلق السماوات والأرض يقتدر على أن يخلق مثلهم. بلى. وهو الخالقُ العليم". ولكنَّ الخليقة لا تضيف شيئًا على الله، فهو يهَبُها كلَّ حسن فيها، وما يطلبه منها هو السجود.

ويشدِّد القرآن على أنَّ للخليقة مرمًى وهدفًا: "أفحسبتم إنَّما خلقناكم عبثًا وأنَّكم إلينا لا ترجعون؟"

(١٦) ٢٤: ٤٤. قلَب، alterner. من يعلم؟ أولئك الذين يبصرون.

(١٧) هو التمييز، Le discernement. بسط الله كلَّ شيء أمام الإنسان ليتذكَّر ولا ينسى الربَّ. ولكن هناك من يأبى، من يرفض، فيفضِّل الكفر على الإيمان.

(١٨) سورة الأعراف، Les Limbes (٧: ١٧٢). أولاد آدم هم ذرِّيَّتهم ونسلهم. خرجوا من ظهورهم، de leurs reins.

(19) Kh. Azmoudeh, « Création », *DDC*, p. 193-194; voir Th. O'Shaughnessy, *Creation and the Teaching of the Qur'an*, Rome, Biblical Institute Press, 1985.

(20) P. Beauchamp, « Création », *DCT*, p. 283; P. Auvray, « Création », *Vocabulaire de Théologie Biblique* (=*VTB*), Cerf, Paris, 1966, p. 171-174; *La création dans l'Orient ancien*, L. Derousseaux (éd.), 1987, Congrès de l'ACFEB, 1985.

(٢٣: ١١٥)؛ فالله خلق "بالحقّ" (١٥: ٨٥). ونقرأ سورة الدخان التي تعيدنا إلى ما قاله اللاهوتيُّون المسيحيُّون في القرون الوسطى: "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهم إلاَّ بالحقّ. ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون" (٤٤: ٣٨-٣٩). هدف الخلق أن يعود الإنسان إلى الله. ولهذا يحتلُّ الإنسان في الخليقة مكانة مركزيَّة، مميَّزة، لأنَّه خليقة الله على الأرض، ويعرف أمورًا لا تعرفها الملائكة (٢: ٣٠). من أجله ومن أجل خدمته، خلق الله "الأرض فراشًا، والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقًا لكم" (٢: ٢٢). هذا لا يعني أنَّ الإنسان يستحقُّ ما يُعطى له، بل خلقت السماء والأرض "لتجازَى كلُّ نفس بما كسبت، وهم لا يُظلَمون" (٤٥: ٢٢).

* * *

ماذا تقول المسيحيَّة عن الخلق؟ ما أشرنا إليه انطلاقًا من الكتاب المقدَّس. الله الذي هو في الأزل، خلق في الزمن، في وقت شاءه هو. وماذا تقول عن الإنسان؟ هو مخلوق على صورة الله كمثاله. إذًا هو القيمة المطلقة. هذا يعني أنَّنا لا نخصِّص أحدًا، ولا نفصل بين الرجل والمرأة، بين العبد والحرّ، بين المؤمن والكافر. هنا نتذكَّر ما قاله بولس الرسول: "فأنتم كلُّكم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنَّكم تعمَّدتم جميعًا في المسيح فلبستم المسيح. ولا فرق الآن بين اليهوديِّ وغير اليهوديِّ (أو: أمميّ، لا يعرف الإله الواحد)، بين عبد وحرّ (فالعبد يُشرَى وكأنَّه سلعة)، بين رجل وامرأة؛ فأنتم كلُّكم واحد في المسيح يسوع؛ فإذا كنتم للمسيح، فأنتم، إذًا، نسل إبراهيم ولكم الميراث حسب الوعد" (غل ٣: ٢٦-٢٩).

إذا كان الأمر هكذا، فكيف لي أن أميِّز نفسي عن الآخر؟ أنا المؤمن وكلُّ من ليس مثلي هو كافر! أنا الرجل لي الحقوق كلُّها، أمّا المرأة فلا حقوق لها. وهكذا نعود إلى العهد القديم حيث المرأة تتساوى مع البيت والعبد والجارية والثور والحمار، حين قيل في الوصيَّة أن لا يشتهي الإنسان "شيئًا" من كلِّ هذا (خر ٢٠: ١٧). لا مجال لذكر حقوق المرأة المهضومة في العهد القديم كما في العالم الإسلاميّ: لا قيمة لشهادتها. يمكن أن تطلَّق في كلِّ ساعة. إن صلَّت فلا يحقُّ لها أن تصلِّي مع الرجال. أمّا بولس فقال: "ليكن لكلِّ رجل امرأته ولكلِّ امرأة زوجها" (١ كو ٧: ٢). إذًا، لا مجال لتعدُّد الزوجات. وقال: "على الزوج أن يوفي امرأته حقَّها، كما على المرأة أن توفي زوجها حقَّه" (آ ٣). ويكون هذا بالاتِّفاق. ولكن هل للمرأة حقوق سوى الخضوع والطاعة؟ هي لا تعطي طوعًا، بل يُفرَض عليها ذلك. وفي آ ٤ من هذا الفصل عن الزواج نقرأ: "لا سلطة للمرأة على جسدها، فهو لزوجها. وكذلك الزوج، لا سلطة له على جسده، فهو لامرأته". هذا يعارض مبدأ يعيشه العالم العربيّ: أن يزني الرجل، أمرٌ عاديّ، بل مستحبّ، أمّا المرأة فإن زنت فعقابها لا يتصوَّرُه عقل: الطلاق، والعودة إلى البيت إذا بقي لها بيت؛ الجَلد، الحَبس. ثمَّ يستطيع الرجل أن يأخذ غيرها، وهي تُرمى كما يُرمى شيء استعملناه واستنفدناه. وماذا عن المرأة التقيَّة؟ هل تستطيع أن تتحلّى بالتقوى مثل زوجها؟ هذا مستحيل في العالم الشرقيِّ كلِّه، في اليهوديَّة كما في الإسلام. أمّا بولس الرسول فقال: "فالزوج غير المؤمن يتقدَّس بالمرأة المؤمنة. والمرأة غير المؤمنة، تتقدَّس بالرجل المؤمن" (آ ١٤).

مساواة تامَّة! فالمرأة على صورة الله شأنها شأن الرجل. وكذا نقول عن الولد، أكان ذكرًا أم أنثى. هل يحقُّ للمرأة أن ترث مثل الرجل؟ هل يحقُّ للفتاة أن تتصرَّف كما يتصرَّف الصبيّ؟ الصبيُّ يتعلَّم أمّا الفتاة فتعمل. ولن نقول شيئًا عن الأطفال في عالمنا العربيّ، مع أنَّ المسيح قال: "دعوا الأطفال يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السماء". تتخيَّلون! يجب أن نصير مثل أطفال لندخل إلى ملكوت السماوات (مت ١٨: ٣). وقال يسوع: "من قبل واحدًا من هؤلاء الأطفال باسمي، يكون قبلني. ومن قبلني لا يكون قبلني أنا فقط، بل الذي أرسلني" (مر ٩: ٣٧).

بين اليهوديِّ وغير اليهوديّ. بين المسلم والآخر،

بين المسيحيّ والآخر. كلُّ إنسان هو على صورة الله، سواء كان مريضًا أو معافى، مقعدًا أو صحيح الجسم، غريبًا أو قريبًا، من هذه "القبيلة" أو تلك؛ فالعالم العربيُّ أخذ بالعادات القديمة وما زال يحافظ عليها: أنا لا أجالس الآخر، لا آكل معه؛ يجب أن يكون أكلي غير أكله، لأنَّ أكله منجَّس. صرنا عبيدًا لما نأكل وما نشرب، وجعلنا حاجزًا بيني أنا "المؤمن" والآخر الذي يجب أن أتحاشاه، أبتعدُ عنه. ففي الإنجيل نرى "اليهود يمتنعون من دخول القصر لئلاَّ يتنجَّسوا، فلا يتمكَّنون من أكل عشاء الفصح" (يو ١٨: ٢٨). أهي نجاسة أن يدخلوا إلى بيت وثنيّ؟ أم النجاسة الكبرى الحكم بالموت على إنسان بريء؟ وشريعة العهد القديم تميِّز بين "ابن الطائفة" و"ابن الطائفة الأخرى". فعلى مستوى الربى: تقرض المال للغريب بما تشاء من الربى، أمّا ابن طائفتك فلا تأخذ منه ربى. على مستوى الطعام، إذا كان نجسًا لا نأكله، بل نطعمه للغرباء.

وعلى مستوى الغفران! "أحببْ قريبك وأبغض عدوَّك". القريب هو ابن البيت والقبيلة والطائفة. ومحبَّتي له تقوم بأن أساعده في حاجاته. وكلُّ من ليس من "طائفتي" أستطيع أن أستغلَّه، أن أسرقه، أن آخذ له امرأته. وفي كلِّ هذا لا يرفُّ لي جفن، ولا يتعب ضميري في شيء.

تجاه هذا، ماذا قال الإنجيل؟ المؤمن لا عدوَّ له. كلُّ إنسان هو قريبي، بل أنا أتقرَّب من الضعيف والمريض والجريح، كما فعل "السامريُّ" مع عدوِّه "اليهوديّ": رأى الجريح، "دنا منه وسكب زيتًا وخمرًا على جراحه وضمَّدها، ثمَّ حمله على دابَّته وجاء به إلى الفندق واعتنى بأمره" (لو ١٠: ٣٤). مثل هذا الإنسان المحتقر لدى الشعب اليهوديّ عاش الإنجيل، لا بالكلام بل بالعمل. ماذا يقول الإنجيل: "أحبُّوا أعداءكم وصلُّوا لأجل الذين يضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات" (مت ٥: ٤٤-٤٥). ويتواصل الكلام: "إن كنتم تحبُّون الذين يحبُّونكم، فأيُّ أجر لكم؟ وإن كنتم لا تسلِّمون إلاَّ على إخوتكم، فماذا عملتم أكثر من غيركم؟" (آ ٤٦-٤٧).

المؤمن هو من يعمل "أكثر"، يحبُّ "أكثر"، يضحِّي أكثر. المؤمن يتجاوز نفسه. ونعود إلى الإنجيل الذي ينطلق من التوراة. "سمعتم أنَّه قيل: عين بعين وسنّ بسنّ. أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسيء إليكم. من لطمك على خدِّك الإيمن (أي: عاملك بالعنف) فحوِّل له الآخر (أي: عامله باللطف). ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك، فاترك له رداءك أيضًا" (آ ٣٨-٤٠).

الإنسان بطبعه يطلب الانتقام، فيدافع عن نفسه ويستعيد حقَّه. ولكنَّ القرآن، شأنه شأن الكتب المقدَّسة الأخرى، ينطلق من الواقع المعاش ويطلب من المؤمن أن يعمل "أكثر". ونعطي مثلاً حول الانتقام.

في سورة البقرة (٢: ١٧٨-١٧٩): "يا أيُّها الذين آمنوا، كتب عليكم بالقصاص (شريعة المثل = الانتقام) في القتلى: الحرّ بالحرّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى". "فمن عُفيَ له من أخيه شيء، فاتِّباع بالمعروف والعادة، وأداء إليه بإنسان (تعويض) ذلك تخفيف من ربِّكم ورحمة. فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم". وفي النهاية، يدعو إلى التقوى. "واتَّقوا الله واعلموا أنَّ الله مع المتَّقين" (٢: ١٩٤). اقتدوا بالله فإنَّه "غفور رحيم".

في سورة المائدة: "كتبنا عليهم (= اليهود) فيها أنَّ النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسنّ بالسنّ. والجروح قصاص (شريعة المثل)؛ فمن تصدَّق، فهو كفّارة له" (٥: ٤٥)، أي من تخلَّى عن حقِّه بسخاء، فهذا ينال غفران الله؛ فالمغفرة وجه من وجوه التقوى، ولا يصل إليها سوى المؤمنين الحقيقيِّين. أمّا في عالم الشرق، من أخذ سنّي، لا آخذ له سنَّه، بل فمَه كلَّه؛ ومن أخذ عيني، لا آخذ له عينه فقط، بل رأسَه كلَّه. ونريد بعد ذلك أن نعتبر نفوسنا أتقياء، وبعضنا يصلِّي: "إغفر لنا يا ربّ، فنحن غفرنا". وقال الربُّ: "إن كنتم لا تغفرون، فأبوكم السماويّ لا يغفر لكم". ذاك هو النداء إلى تجاوز الذات والتغلُّب على

النزوات والشهوات التي تسيطر علينا وعلى أنانيَّتنا.

ونعطي مثلاً آخر في شأن الزواج وتعدُّد الزوجات. نقرأ في سورة النساء ما يلي: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء، مثنَّى وثلاث وأربع، فإن خفتم ألاَّ تعدلوا، فواحدة" (٤: ٣). هنا يتجاوز الرجل نفسه وهو عالم أنَّه لا يمكن أن يكون عادلاً؛ فمنذ البدء قيل: "يترك الرجل أباه وأمَّه ويتَّحد بامرأته ويكون الاثنان واحدًا". هل يمكن للرجل أن يتَّحد بثلاث نساء أو أربع بحيث يكونون كلُّهم معًا جسدًا واحدًا؟ ولا نقول شيئًا عمّا ندعوه زواج المتعة، وعن عدد السريّات اللواتي يمكن أن يكنَّ للرجل. أهذا تجاوز للذات، أم انحدار إلى الأنانيَّة والبحث عن اللذَّة العابرة للرجل، دون المرأة؟ فهذه لا يكون لها رجال عديدون. وبعد ذلك، نتكلَّم عن المساواة بين الرجل والمرأة!

أمّا المبدأ الأساسيُّ فهو النظر إلى الشريعة. هي تطلب من الإنسان أقلَّ ما يمكن. وإن تمَّم الإنسان هذه الشريعة بحذافيرها، يرضى عن نفسه لأنَّه قام بواجبه. وما هو واجبه تجاه امرأته؟ أن يؤمِّن لها الطعام واللباس والمأوى. عندئذٍ يكون حرًّا في تصرُّفاته. في هذا المجال قال يسوع لتلاميذه: "إن لم يزد برُّكم على برِّ الكتبة والفرّيسيِّين لن تدخلوا ملكوت السماوات"، أي إن اكتفيتم بالوصايا بأقلِّ قدر ممكن، لم تصبحوا بعدُ تلاميذي. ونفهم عندئذٍ لماذا كان بولس الرسول قاسيًا بالنسبة إلى الشريعة، ولماذا يرفضه اليهود والمسلمون معًا؟ أمّا المسيح فما وضع شريعة، بل مثالاً يسير الإنسان دون أن يستطيع بلوغه: "كونوا كاملين كما أنَّ أباكم السماويَّ كامل هو". وقال بولس إلى أهل أفسس: "تشبَّهوا بالله كالأبناء الأحبّاء، وسيروا في المحبَّة سيرة المسيح الذي أحبَّنا وضحَّى بنفسه من أجلنا قربانًا وذبيحة لله طيِّبة الرائحة" (٥: ١-٢). هل يستعدُّ الرجل أن يضحِّي بذاته من أجل امرأته؟ عندئذٍ لن تعود الشريعة والقوانين سوى بدايات الحياة الزوجيَّة. هكذا كانوا يصنعون في العصور القديمة، ونحن نعود إلى تلك العصور حيث تكون المنفعة لنا.

ونتذكَّر هنا حوارًا بين بطرس ويسوع. قال بطرس: "يا ربّ، كم مرَّة يخطأ أخي فأغفر له؟ أسبعَ مرَّات؟". اعتبر هذا الرسول أنَّه صنع البطولة. في الواقع، كم واحد منّا يستعدُّ لكي يغفر مرَّة واحدة أو مرَّتين؟ ومع ذلك، لا يرضى يسوع بالحدود: "لا أقول لك سبع مرَّات، بل سبعين مرَّة سبع مرَّات" (مت ١٨: ٢١-٢٢). المؤمن لا يتوقَّف في الصعود، بل يصل إلى أبعد الحدود.

٣. شخص يسوع المسيح

ما الذي يربط السماء بالأرض؟ شخص أتى من السماء وحلَّ على الأرض. ما الذي يربط الله بالإنسان؟ الكلمة، قال الشعب اليهوديُّ. القرآن، قال المسلمون. أمّا المسيحيُّون، فما يربط الله بالإنسان هو الكلمة الذي صار بشرًا وسكن بيننا.

كم تمنَّى البشر على مدِّ تاريخهم أن يأتي الإله إليهم. فكانوا يحجُّون إلى حيث يمكن أن يلتقوا وجه الإله الذي تعبَّدوا له. وقال صاحب المزامير: "متى آتي وأحضر أمام الله؟". ولكن كيف لهذا الإله البعيد أن يقترب من البشر؟ والإله القدُّوس أن يكون بجانب الخطأة؟ دُعيَ في العهد القديم "نارًا آكلة"، وقال موسى: لا يستطيع أحد أن يرى وجه الله ويبقى على قيد الحياة.

فكيف اللقاء بالربّ؟ هل نبقى في الظلمة منتظرين يوم الدينونة؟ ومن يقول لنا إنَّنا من أهل الخلاص؟ وهل نستطيع أن نصعد إلى الله؟ هذا مستحيل. وهل ينزل هو إلينا؟ كلاَّ. فالله أكبر من السماء والأرض. أمّا في المسيحيَّة، فالله صار صغيرًا في شخص يسوع المسيح، وهكذا بدا كبيرًا في نظر العالم، وكان عملُه الذي ندعوه التجسُّد أكبر عمل يمكن أن يعرفه التاريخ. أجل، "لمّا تمَّ ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، لكي يفتدي الذين هم في حكم الشريعة حتَّى نصير نحن أبناء الله" (غل ٤: ٤). كلُّ إنسان يهتمُّ بالشريعة لأنَّها تحدِّد له ما ينبغي أن يفعل، وهكذا لا يشغل باله. ولكنَّ الله يريدنا أن نرتفع فوق الشريعة لننال

نعمة التبنّي، فنُدعى أبناء وبنات الله. فكما قال الآباء: "صار ابن الله إنسانًا لكي يجعل كلَّ إنسان ابن (وابنة) الله"؛ فما دُمنا في الشريعة، لا نستطيع أن نصبو إلى هذه البنوَّة.

ونقرأ هنا النشيد التي اعتادت كنيسة فيلبّي أن تنشده للمسيح (٢: ٦–٨):

ذاك الذي هو في صورة الله

ما اعتبر مساواته لله غنيمة (فتمسَّك بها وشدَّ).

بل لاشى (تخلَّى عن، أخلى) ذاته (تجرَّد من ذاته، تاركًا الأنانيَّة)

واتَّخذ صورة العبد (أمَا البشر عبيد الخطيئة؟)

صار شبيهًا بالبشر

وظهر في صورة إنسان

تواضع (تنازل أيضًا)، أطاع حتّى الموت، الموت على الصليب.

موت الصليب هو موت محفوظ للعبيد. ونحن لا ننسى أنَّ العبد كان سلعة تُشرى وتُباع. لم يكن له الحقوق التي لكلِّ إنسان، إلى هذا المستوى نزل يسوع المسيح، ليرفعنا إلى حيث هو. فالنشيد يتواصل: "لذلك رفعه الله جدًّا وأعطاه اسمًا فوق كلِّ اسم لتنحني لاسم يسوع كلُّ ركبة، في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض، ويشهد كلُّ لسان أنَّ يسوع المسيح هو الربُّ تمجيدًا لله الآب" (آ ٩–١١).

يسوع هو لنا المثال في التضحية والعطاء، أمّا المحبَّة عنده فلا حدود لها. حين كان يستعدُّ ليغسل أرجل تلاميذه، قيل فيه: "لمّا علم يسوع أنَّ ساعته أتت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، أحبَّ خاصَّته، أحبَّهم إلى الغاية" (يو ١٣: ١). وهذه المحبَّة جعلته عند أقدام تلاميذه، وما طلب منهم أن يكونوا عند قدميه. واستخرج الدرس الذي يتوجَّه إلى كلِّ واحد منّا: "أنتم تدعونني ربًّا ومعلِّمًا، وحسنًا تفعلون. فإن كنتُ أنا الربُّ المعلِّم غسلتُ أرجلكم، فيجب عليكم أنتم أيضًا أن يغسل بعضكم أرجل بعض. وأنا أعطيتكم مثالاً بحيث تعملون ما عملت لكم" (آ ١٣–١٥).

هنا يأتي الصليب، والموت والقيامة. هو ضعف الله حتّى النهاية. أمّا الإسلام فيريد أن يبيِّن قوَّته وسلطانه. هو يجمع بين الأرض والسماء فيجد في السماء اللذَّة التي لم يجدها على الأرض. وهو قوَّة حربيَّة تودُّ أن تحافظ على الشريعة وعلى التماسك بين "المؤمنين" أي المسلمين، لأنَّ الآخرين هم كفَّار. والتاريخ بيَّن أنَّه لم يكن من تعاون بين المسلمين من جهة، واليهود والمسيحيِّين من جهة أخرى، إلاَّ بقدر ما تكون هناك حاجة. وحين تنتفي الحاجة، كما حصل في العهد الأمويّ، لا يعود لغير المسلم موضع في "الحكم"، كما هي الحال في مصر. هنا نقرأ سورة المائدة: "يا أيُّها الذين آمنوا، لا تتَّخذوا اليهود والنصارى أولياء (= أصدقاء)؛ فبعضهم أولياء بعض. ومن يتولَّهم (= يأخذهم أصدقاء) فإنَّه منهم. إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين" (٥: ٥١). هم شعوب فاسدة، فالأفضل الابتعاد عنهم. هي نظرة تاريخيَّة، فصارت شريعة يُعمَل بها حيث الإسلام هو الحاكم.

هنا يأتي موقف المسيحيِّ الذي يرفض الخنوع، كما يرفض أن يكون من الذمِّيِّين. أمّا قوَّته فليست قوَّة السلاح، بل عزَّة النفس والشهامة والمستوى الفكريّ والإيمانيّ. والقوَّة تكون أيضًا في الغفران والابتعاد عن الحقد الذي نجعله في قلوبنا. نحن لا ننسى أنَّ المسيح سيِّد التاريخ وملء الله. يقول لنا يوحنّا: "من ملئه أخذنا، ونعمة فوق نعمة. فالناموس أعطيَ لنا بواسطة موسى، وأتت النعمة والحقيقة بيسوع المسيح" (١: ١٦–١٧). وبولس في الرسالة إلى كولوسّي:

لأنَّ الله شاء أن يُحلَّ فيه (في المسيح) الملء كلُّه

وأن يصالح الكلَّ به وفيه

في الأرض كما في السماوات

فبدمه على الصليب حقَّق الفداء (١: ١٩–٢٠).

وفي الفصل الثاني من الرسالة نفسها (آ ٩–١٠):

ففي المسيح يحلُّ ملءُ الألوهيَّة كلُّه حلولاً جسديًّا، وفيه تبلغون الكمال. هو رأس كلِّ رئاسة وسلطة.

كما لا ننسى أنَّ المسيح هو كلمة الآب الأخيرة. جاء الأنبياء قبله، إشعيا، إرميا، حزقيال... فحملوا الكلمة: هكذا قال الله. أمّا المسيح فهو الكلمة التي فيها تصبُّ كلمات الذين أتوا قبله، ومنها تنطلق كلُّ كلمة عن الله. فلا وسيط بين الله والبشر إلاَّ يسوع المسيح، الذي هو أبعد من حرف ميت. هو شخص حيّ. حضوره كلمةُ الله الحاضرة في الكون حتّى نهاية العالم، على ما نقرأ في سفر الرؤيا (٢٢: ٢٣): "أنا الألف والياء، الأوَّل والآخر"، المبدأ والغاية، والشريعة التي تستعبد الإنسان وتبقيه جامدًا لا يتحرَّك، هذه الشريعة لا يخلِّصنا منها إلاَّ المسيح. فحين قال: "لا يهوديٌّ ولا يونانيّ"، حرَّر الإنسان من الشريعة اليهوديَّة. واليوم وكلَّ يوم، حين أجعل نفسي في جانب، وأجعل الآخرين في الجانب الآخر، أعود إلى الشريعة التي يقول عنها بولس الرسول: "كانت الأهواء الشرِّيرة التي أثارَتْها الشريعة تعمل في أعضائنا لتستمرَّ للموت" (رو ٧: ٥). ولكن إذا مُتُّم عن الشريعة تثمرون لله" (آ ٤). وهكذا نصل إلى المحبَّة: "من أحبَّ قريبه أتمَّ العمل بالشريعة" (رو ١٣: ٨). ويتواصل الكلام في آ ١٠: "من أحبَّ قريبه لا يسيء إلى أحد، فالمحبَّة تمام العمل بالشريعة". ونقرأ في الرسالة إلى غلاطية: "اخدموا بعضكم بعضًا بالمحبَّة، فالشريعة تكتمل في وصيَّة واحدة: أحبب قريبك مثلما تحبُّ نفسك" (٥: ١٣–١٤).

لا شريعة بعدُ تأتي من الخارج فتجعل حاجزًا بيني وبين الآخر. وبالتالي لا تمييز بين إنسان وإنسان. قال الحديث النبويّ: "بُعثتُ إلى الأحمر والأسود" أو: "جئت أجمع الأبيض والأسود، والأصفر والأحمر"[٢١]. نتذكَّر القرآن في سورة الحجرات: "يا أيُّها الناس، إنَّنا خلقناكم ذكرًا وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتتعارفوا، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم" (٤٩: ١٣). هذا ما يجعلنا قريبين من الإنجيل حيث الله لا يميِّز الأشرار من الأخيار حين يشرق شمسه ويرسل مطره (مت ٥: ٤٣–٤٥).

أمّا المسيح فيزيل الحواجز ليخلق من الشعوب كلِّها شعبًا واحدًا:

فالمسيح هو سلامنا.
جعل اليهود وغير اليهود، جعل الشعبين شعبًا واحدًا
وهدم الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة
وألغى بجسده شريعة موسى بأحكامها ووصاياها
ليخلق في شخصه من هاتين الجماعتين
إنسانًا واحدًا جديدًا، بعدما أحلَّ السلام بينهما.
ويصلح بينهما وبين الله بصليبه.
فقضى على العداوة وجعلهما جسدًا واحدًا،
جاء وبشَّركم بالسلام أنتم الذين كنتم بعيدين (اليونانيِّين)
كما بشَّر بالسلام الذين كانوا قريبين (اليهود)
لأنَّ لنا به جميعًا الوصول إلى الآب في الروح الواحد (أف ٢: ١٤–١٨).

الصليب هو هنا. يُدخلنا إلى قلب الثالوث، إلى قلب عيلة الله. لم يبقَ عربيٌّ ولا شعوبيّ. لم يبقَ غريب أو قريب. لم يبقَ ضيف أو نزيل. فجميع البشر "رعيَّة واحدة ومن أهل بيت الله" (آ ١٩)؛ فمتى نقبل بعضنا بعضًا كما يريدنا الله!

خاتمة

انطلقنا من الله فوصلنا إلى البشريَّة، لأنَّ البشرَ جميعًا خلقُ الله، كما يقول المسلمون، وأبناء الله وبناته، كما تقول المسيحيَّة. هذا الإله خلق السماء والأرض. خلق الإنسان، لأنَّه المنَّان والجوّاد. ويقول الكتاب المقدَّس: خلق الإنسان على صورته ومثاله، فجعله ملكًا على الخليقة. والذي يخلق الإنسان بهذا الجمال وهذا الكمال، ماذا يكون هو؟ هو الرحمة والرأفة. وفي النهاية هو المحبَّة كما قال لنا يوحنّا في رسالته. وهذه الصفات، هل عُرفت يوم خلق الله الكون، أم هي في طبيعة الله؟ لا شكَّ في طبيعة الله. فكيف يكون الله "جوّادًا" إن كان

الواحد الأحد؟ هذا مستحيل. وكيف يكون المحبَّة إذا كان منعزلاً في أعلى سمائه. فالحبُّ يكون في العيلة. والمسيحيَّة حين تتكلَّم عن الله الواحد، ترى فيه عيلة، تسمَّى الثالوث، مع الآب والابن والروح القدس. إلى هذه العيلة يُدعى كلُّ إنسان، لأنَّ الله أبو الجميع وهو يستقبلهم كلَّهم لأنَّه الرحيم الغفور. هذا يعني أنَّهم عاشوا على الأرض عيلة كبيرة، حيث لا تمييز بين رجل وامرأة، بين عبد وحرّ، بين يهوديٍّ وغير يهوديّ، بين يونانيّ وبربريّ (لا يتكلَّم اليونانيَّة). ماذا يعني كلُّ هذا؟ كما الأقانيم في الله منفتحون الواحد على الآخر، هكذا يكون البشر. كما الآب يعطي ذاته للابن والابن يعطي ذاته للآب، هكذا تكون البشريَّة مطبوعة بالبذل والعطاء، فيخرج كلُّ إنسان (وكلُّ جماعة) من أنانيَّته، ويتجاوز نفسه وشهواته ونزواته. لا يُحلُّ نفسه في شريعة ووصايا لعب بها المفسِّرون فصارت تقاليد بشريَّة على حساب كلام الله. أمّا العلامة أنَّنا نحافظ على حقوق الله فهي أن نحافظ على حقوق الإنسان، الرجل مع امرأته، الوالدون مع أولادهم، السيِّد مع العبد، الحاكم مع المحكوم، القويُّ مع الضعيف؛ فكيف نستطيع أن نكرم الله الذي لا نراه حين نحتقر إخوتنا وأخواتنا ونظلمهم ويكون ضميرنا مرتاحًا؟ لا شكَّ، نكون كاذبين. تحدَّث القرآن عن دين الحقّ، وأعلن يسوع أنَّه الطريق الذي يقود إلى الحقِّ والحياة؛ فأين يكون موقع كلِّ واحد منّا، وكلِّ جماعة من جماعاتنا؟ أو نرتفع معًا أو ننحدر معًا، لأنَّ لا أحد يخلص وحده ولا أحد يهلك وحده. وننهي كلامنا بما نقرأ في سفر التثنية: "وضعتُ أمامك الموت والحياة، السعادة والشقاء، وأنت تختار". وأنتم يا عائشون في هذا العالم العربيّ تختارون.

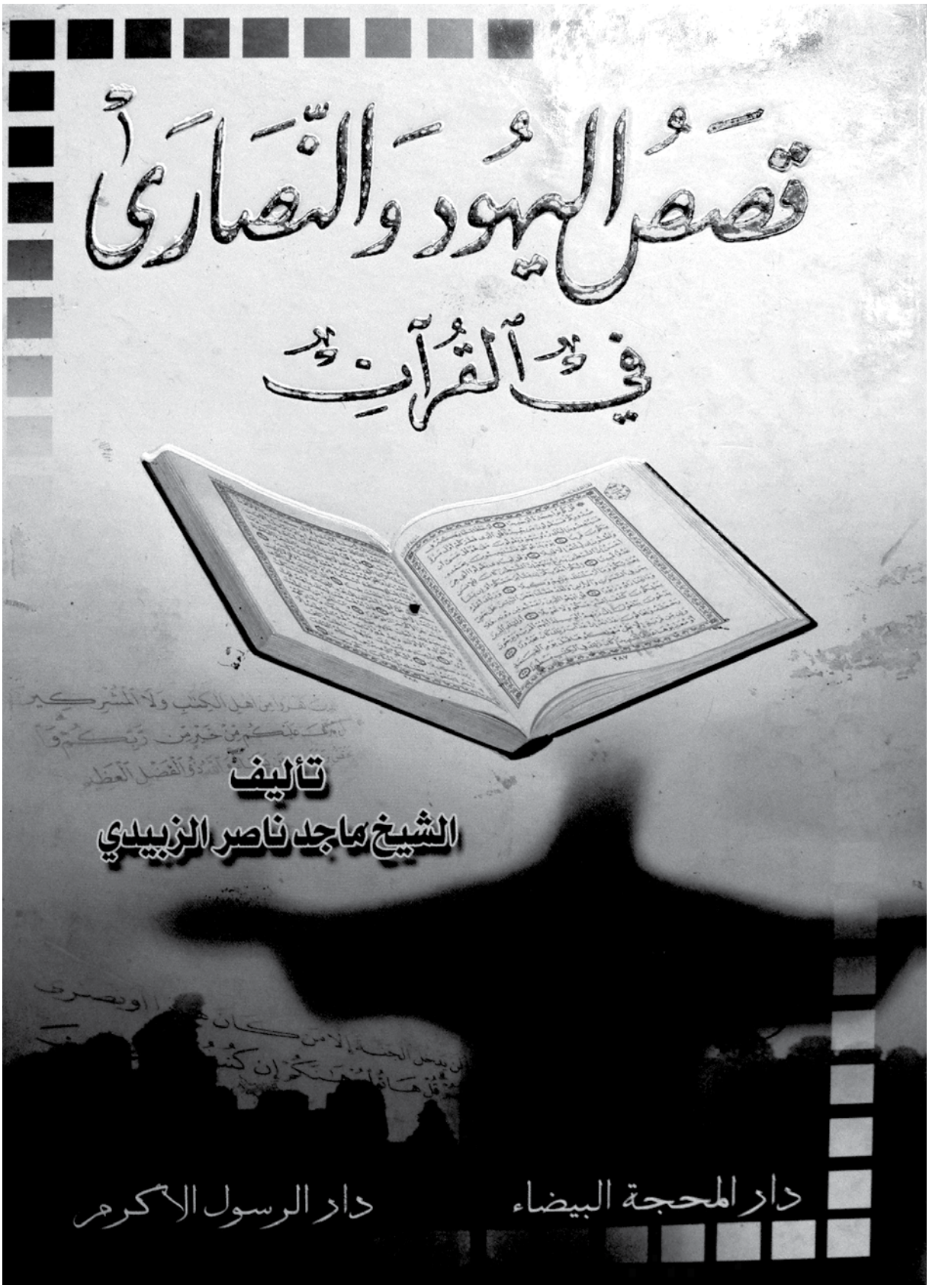
قصص اليهود والنصارى
في القرآن
تأليف
الشيخ ماجد ناصر الزبيدي
دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم

ألله الذي يعبده المسيحيّون والمسلمون

الأخت روز أبي عاد
دكتوره في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

كم وكم سمعنا عن صداقات مسيحيّة مسلمة لا بل عن زواجات مختلطة بين المسيحيّين والمسلمين، وتبقى المياه تسير في مجاريها طالما لم نتطرّق إلى موضوع العقيدة والدين، إذ عندها سندخل في دراما الانزعاج وسيسود الارتباك والتردّد.

قد يحاول البعض تسليط الأضواء على الأمور المشتركة فيقول إنّنا نجد في الكتاب المقدّس والقرآن أشخاصًا عدّة مشتركين، على سبيل المثال نذكر منهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، ويسوع (عيسى)، ومريم، ولكن، بالحقيقة، فما هو مشترك بين الكتاب المقدّس والقرآن لا يتعدّى إلّا الأسماء، ذلك بأنّ الدور الذي يقوم به هؤلاء الأشخاص لا يتطابق أبدًا في الكتابَين. وتتفاقم المشكلة عندما نصل إلى الله، فيقولون إنّنا نعبد الإله الواحد، وهنا أيضًا لا يتّفق المسيحيّون والمسلمون على أيّ مفهوم لله سوى على أنّه "واحد" في حين أنّ كلّ ما تبقّى لا يوافق البتّة نظرة الديانتين له.

في دراستنا هذه، سنحاول أن نوضّح مفهوم الله في الديانتين المسيحيّة والإسلاميّة، والهدف هو أن نتعرّف على ديانة الآخَر، فنفهم مضمون الكلمات التي يستعملها، ممّا يؤدّي بنا إلى توضيح معنى الألفاظ وأبعادها، فتقرب المسافات ونبني السلام.

مقارنة بين إله المسلمين وإله المسيحيّين

–الإله الواحد والثالوث

يعبد المسلمون إلهًا واحدًا، في حين أنّ المسيحيّين يؤمنون بإله واحد–ثالوث، وهذا الإيمان بالإله الثالوث لا يطعن في العقيدة المسيحيّة بشيء، أمّا بالنسبة إلى المسلمين فعكس ذلك، أنّه يشكّل اختلافًا جسيمًا، ذا علاقة بألوهيّة يسوع التي يرفضونها بقوّة. أن يقول المسيحيّ إنّه يؤمن بالله الواحد، يبقى كلامًا غير وافٍ، إذ إنّ جوهر إلهه هو أب وابن وروح قدس. في هذا السياق يقول البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني إنّه، وبالرغم من إسناد أجمل الأسماء إلى إله القرآن، ولكن في النهاية، يبقى غريبًا عن العالم، إذ هو فقط إله العظمة، دون أن يكون الـ "عمّانوئيل"، "إلهنا معنا"[1].

وهكذا، فالنظرة المسيحيّة إلى الله ليست هي نفسها نظرة الإسلام إليه، ذلك إنّ فكرة الثالوث لدى المسيحيّين ترتبط بفكرة الله المخلّص، والله المحبّة

(1) Cf. Jean Paul II, *Entrez dans l'espérance*, Plon/Mame, 1994, 152.

الذي يقيم عهدًا مع البشريّة. له مخطّط خلاصيّ للجميع، وبه يمكننا أن ندخل في قلبه المفتوح لاستقبال جميع الناس، وهذا أمر مرفوض بالنسبة إلى المسلمين لأنّ الله هو المتسامي والمتعالي؛ إنّه الوليّ الذي يشرف من فوق على كلّ ما سواه؛ إنّه المنفصل بشكل جذريّ عن سائر المخلوقات والذي ينتظر من الإنسان أن يسلّم أمره له، وهذا هو بالفعل معنى لفظة "مسلم".

– الإله الخالق

في حين أنّ المسيحيّ يعترف بأنّ الله خلق الإنسان على صورته كمثاله، يستحيل على المسلم أن يشاطره الرأي لأنّ القرآن يقول: و"ليس كمثله شيء" (٤٢: ١١)، وإلاّ فهو يغيّر الترابط المنطقيّ في إيمانه. قد يعترض المسلم بقوله إنّه جاء في القرآن: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" (٥٠: ١٦)، لا بل هناك آية أجمل: "واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه" (٨: ٢٤)؛ وأيضًا: "إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيب دعوة الداع إذا دعانِ" (٢: ١٨٦). ولكنّ هذه الآيات تفرض علينا أن نطرح السؤال: عن أيّ قُرب يتكلّم القرآن؟ أليس المقصود به الدلالة على معرفة الله لكلّ شيء؟ ومراقبته لمخلوقاته بحيث لا يغفل عنه أيّ شيء، هو العالم بكلّ شيء. ومن ناحية أخرى، تبقى المسافة شاسعة بينه وبين الإنسان إذ "لم يكن له كفوًا أحد" (١١٢: ٤)، و"ليس كمثله شيء" (٤٢: ١١). إذًا، لسنا بصدد القرب العلائقيّ الناتج عن العهد حيث يعطي الله ذاته، حسب كلام يسوع: "وأنا وهبتُ لهم ما وهبتَ لي من المجد ليكونوا واحدًا كما نحن واحد" (يو ١٧: ٢٢)، وأيضًا: "عرّفتهم باسمك وسأعرّفهم به لتكون فيهم المحبّة التي أحببتَني إيّاها وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦).

في موضوع الله الخالق يقول روجيه أرنلديز: "ليس إله القرآن إله المسيحيّة على الإطلاق"[٢]؛ ويؤكّد الأب فرانسوا فاريون: "ليس ممكنًا حتّى أن نماثل بين الإله الخالق بالنسبة إلى محمد والإله الخالق بالنسبة إلى يسوع المسيح (...).؛ فإله الإسلام ليس هو إله المسيحيّة؛ فالمسلم هو أمام الله، في حين أنّ المسيحي هو في الله"[٣]. وأمام قدرة الله المطلقة، ليس على الإنسان سوى التسليم، لذلك "فالله يعلم وأنتم لا تعلمون"[٤]. وفي مكان آخر نقرأ: "إنّي أعلم ما لا تعلمون"[٥]، ولهذا، في موضوع الخلق، نرى الله في الكتاب المقدّس يعطي الإنسان السلطان ليسمّي جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء (تك ٢: ١٩)، أمّا في القرآن، فالله يعلّم آدم، النبيَّ المسلمَ قبل أن ينزل القرآن، أسماء الحيوانات (٢: ٣١–٣٣). من ناحية أخرى، لا يمكن إبراهيم أن يتشفّع لسدوم (١١: ٧٧ي)، عكس ما يفعله في سفر التكوين (تك ١٨: ١٦ي)، وكأنّ الله لا يتأثّر بالإنسان (٣٩: ٧).

بشكل عامّ، الله في الإسلام هو الوليّ، هو الذي يسود بصورة مطلقة، ويوحي لعبده الاعتراف بالجميل والشكر والعبادة؛ فالوصاية الإلهيّة تفترض تذويب كلّ ما ليس الله[٦].

– إله الوحي

يؤمن المسلمون بالأصل الإلهيّ للقرآن، وبأنّ الله وحده هو كاتبه، ولكنّ المسيحيّين لا يشاطرونهم الرأي، علمًا أنّ كلاً من المسيحيّين والمسلمين يقولون أنّ كتابهم هو كلام الله، ولكن دون أن يكون المفهوم ذاته.

(2) In Annie Laurent, *Vivre avec l'Islam*?, Saint Paul, 1996, 130.

(3) Cf. François Varillon, *Un chrétien devant les grandes religions*, Bayard/Centurion, 1995, 48, 65, 69.

(٤) رج ٢: ٢١٦، ٢٣٢؛ ١٦: ٧٤؛ ٢٤: ١٩.

(٥) رج ٢: ٣٠؛ ٤٨: ٢٧.

(6) Cf. François Jourdan, *Dieu des chrétiens, Dieu des musulmans. Des repères pour comprendre*, Éditions de l'Œuvre, 2008, 93.

ينتج مفهوم المسلم للوحي من مفهومه للّٰه، إذ إنّ اللّٰه هو مصدر كلّ شيء، وكلّ شيء يرتبط به مباشرة، بما فيه الوحي. وبالتالي، فاللّٰه ليس فقط مبدأ الوحي، بل هو المؤلّف الوحيد للقرآن دون أيّ كائن سواه. إذًا، يستحيل على الإنسان أن يكون المؤلّف المشارك للّٰه في القرآن، ولا حتّى في أيّ كتاب سماويّ آخر قد سبقه، ولا في أيّ نبوءة وردت قبله؛ فاللّٰه هو صاحب السيادة لدرجة تلامس ظاهريًّا الاعتباطيّة[٧]. "اللّٰه يفعل ما يشاء"، كما "يخلق ما يشاء" (٣: ٤٠، ٤٧)، ومصير كلّ إنسان بيده: "ما من دآبّة إلّا هو أخذ بناصيتها" (١١: ٥٦). وبذا يتّضح المفهوم الإسلاميّ للوحي: يوجد كتاب في السماء، على اللوح المحفوظ[٨]، "أُمّ الكِتَب"[٩]؛ وقد أُنزل هذا الكتاب على مراحل من عند اللّٰه[١٠]، وأُعلن شفهيًّا لآدم، ونوح ولوط...، وبعضهم استلموه ودوّنوه، على مثال إبراهيم وموسى وداود وعيسى، وأخيرًا محمد، خاتمة الأنبياء[١١]؛ فالضمانة لمصداقيّة القرآن وسلامته المطلقة تقوم على رعاية اللّٰه المباشرة له، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لم يكن للضمانة الإلهيّة النفوذ نفسه على الكتب السابقة التي أنزلت من السماء قبل القرآن على إبراهيم وموسى وداود وعيسى؟

أمّا بالنسبة إلى مضمون الوحي في الإسلام، فلا يعني اللّٰه الذي هو الصمد (١١٢: ٢)، إذ لا يكشف اللّٰه سوى عن رسوم وقرارات بعيدة عن جوهره وعن طبيعته الإلهيّة.

في المسيحيّة، كُتبت الأسفار المقدّسة بإلهام الروح القدس،؛ هو اللّٰه ألّفها، ولكنّه اختار لصياغتها أناسًا في كمال إمكاناتهم وقواهم، واستخدمهم لكي، بدفع منه فيهم وبواسطتهم، يدوّنوا كمؤلّفين حقيقيّين كلّ ما يريده وما يريده فقط[١٢]. إذًا، للمؤلّفين الملهمين دورٌ في صياغة الأفكار، التي لا تُملَى عليهم انطلاقًا من كتاب، ولكن هذا لا يمنع من أن يقولوا الحقيقة التي أراد اللّٰه أن تُدرَج في تلك الأسفار المقدّسة.

الكتاب المقدّس، بالنسبة إلى المسيحيّ، هو كلام اللّٰه المتجسّد، هو لا يأتيه مباشرة من السماء، بل هو مكتوب بإلهام من الروح القدس. إنّه ثمرة تعاون وثيق بين اللّٰه والبشر؛ فالعهد القديم، قبل أن يصبح نصوصًا مكتوبة، مرّ بحقبة طويلة إمتدّت إلى قرون من التقليد الشفهيّ، كذلك الأمر بالنسبة إلى نصوص العهد الجديد؛ فقد مرّت بالتقليد الرسوليّ الشفهيّ قبل أن تصير نصًّا مدوّنًا. أمّا الضمانة لليهوديّة والمسيحيّة فهي التقليد المعاش في إطار "العهد". وفي العهد الجديد، لم يكتب يسوع أيّ شيء، ولكنّه أقام الاثني عشر رسولاً وخلفاءهم، أيّ السلطة التعليميّة، ليميّزوا عمل الروح القدس في تدوين الكتابات المقدّسة. إنّه منطق القرب العلائقيّ للّٰه، ولهذا فاللّٰه هو المؤلّف الحقيقيّ للكتاب المقدّس، وفي الوقت عينه إنّ الكتّاب الملهمين هم المؤلّفون الحقيقيّون له، وهم ظلّوا يتمتّعون بحرّيتهم ومسؤوليّتهم ويحافظون على ثقافتهم المعاشة في بيئتهم وفي زمانهم. طبعًا هذا ما يخالف نظرة الإسلام إلى القرآن الذي أُنزل من السماء دون الحاجة إلى تقليد شفهيّ يسبقه.

في اليهوديّة وفي المسيحيّة، يكشف اللّٰه عن ذاته ويدخل في تاريخ الإنسان، ويُظهر حضوره فيه بأشكال شتّى، فيعطي قيمته للتاريخ، وهذا ما يعجز الإنسان عن فعله بمعزل عنه. وعليه، تصبح اليهوديّة والمسيحيّة ديانتَي التاريخ وليس فقط ديانتَين في التاريخ.

(7) Cf. François Jourdan, *id.*, 91.

(٨) رج ٨٠: ١٣–١٥؛ ٨٥: ٢٢.

(٩) رج ٣: ٧؛ ١٣: ٣٩؛ ٤٣: ٤؛ ٥٦: ٧٨.

(١٠) رج ٢: ٨٩؛ ١١: ١٤؛ ٤١: ٢؛ ٤٦: ٢؛ ٥٦: ٨٠.

(١١) رج ٧: ٢؛ ١٦: ١٠٢؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ١٠؛ ٢٩: ٤٦–٤٧؛ ٣٩: ١–٢؛ ٧٦: ٢٣.

(١٢) رج المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ**، المقطع ١١.

ففي الوحي المسيحيّ يكشف الله عن ذاته تدريجيًا طيلة قرون عديدة في تجانس ملحوظ للعقيدة، رغم رحب المسافات التاريخيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، وينتهي بأن يعطي ذاته. لقد لفت انتباه البابا يوحنا بولس الثاني كيف أنّ القرآن يحدّ من الوحي الإلهيّ الوارد في العهدين القديم والجديد، وصُعق من عدم فهم ما قاله الله عن ذاته، بدايةً في العهد القديم، بواسطة الأنبياء، ومن ثمّ، وبطريقة نهائيّة، في العهد الجديد، بابنه الوحيد؛ وبالتالي، فإنّ كلّ هذا الغنى الذي يكشف به الله عن ذاته، والذي يشكّل تراث العهدَين القديم والجديد، قد تُرك جانبًا في الإسلام[١٣].

-إله الحبّ والعهد

في الكتاب المقدّس، تبدو واضحة علاقة الله بالإنسان، وهو يكلّمه من خلال الخلق[١٤]. ولكنّ الله يذهب أبعد من ذلك، ففي العهد القديم أقام عهده مع بني إسرائيل، وفي العهد الجديد أقامه مع جميع الشعوب. في مفهوم "العهد"، يعطي الله ذاته للإنسان دون أن يجعل هذا الأخير ينصهر فيه، لأنّ الانصهار هو عنف يُلغَى فيه أحد الفريقين، وهو مصادرة لحقوق الآخر، وبالتالي هو ينفي الحبّ الحقيقيّ. في المسيحيّة، الله هو المتسامي، ولكنّه في الوقت عينه الحبّ. يميّز المونسنيور بيار كلافري بين موقفين نموذجيَّين بين الإسلام والمسيحيّة: فالأوّل يُختصَر بـ "أعبدني، أنا الواحد"، والثاني يُشار إليه بـ "لا تخف، إنّي أحبّك"[١٥]. وفي هذا نجد صدى لكلام يسوع: "لا أدعوكم خدمًا بعد اليوم لأنّ الخادم لا يعلم ما يعمل سيّده؛ فقد دعوتكم أحبّائي لأنّي أطلعتكم على كلّ ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥).

في اليهوديّة والمسيحيّة، هناك فصل بين الخالق والمخلوقات، ولكنّ هذه المسافة العلائقيّة لا تهدف إلى إبعاد الفريقَين المتحابَّين، بل لتفسح المجال للحبّ الناضج؛ في كلامه مع يعقوب، يقول الربّ له: "قد صرتَ كريمًا في عينيّ ومجيدًا فإنّي أحببتك..." (أش ٤٣: ٤)؛ وبالمقابل فإن جوهر الشريعة يقوم على محبّة الربّ؛ فها هو يطلب من المؤمن به أن يحبّه: "أحبب الربّ بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ قوّتك..." (تث ٦: ٥)؛ ويكمل قائلاً: "وأحبب قريبك حبّك لنفسك: أنا الربّ" (لا ١٩: ١٨)، وهذا ما سيؤكّده يسوع في العهد الجديد (مت ٢٢: ٣٧-٣٩). بهذا الكلام سيُظهر مدى القُرب بين الله والإنسان من خلال عهد الحبّ الذي سيحقّقه هو ذاته بموته وقيامته: "هذا هو دمي، دم العهد يُراق من أجل جماعة الناس لغفران الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨). في العهد بين الله والإنسان، يبقى الفريقان متمايزَين؛ فالله يوفّر علاقة حبّ لتنمو مع الزمن؛ إنّه يأخذ المبادرة ليخلق الرفقة في مسيرته مع شعبه التي ستمتدّ لقرون. هذا العهد سيبدأ مع إبراهيم (تك ١٧)، وسيعزَّز مع موسى (خر ١٩-٢٤)، حتّى ولو أنّ بني إسرائيل يبدون أحيانًا "قساة الرقاب"[١٦]، ولكنّ الله يبقى متمسّكًا بوعوده وعهده على الرغم من بعض الأحداث المنافية ظاهريًّا كالذهاب إلى المنفى. أمّا البيان النموذجيّ للعهد فهو الآتي: "أكون لكم إلهًا وتكونون لي شعبًا"، وهو يتكرّر في أماكن عدّة[١٧]. إنّه تاريخ الخلاص المقدّس، حيث يفيض الله إلهامه على الشعب الذي غالبًا ما يبدو خائنًا، ومن خلاله يمكن لجميع الشعوب أن تتعرّف على ذاتها، إذ يغدو رمزًا لواقع البشريّة جمعاء.

(13) Cf. Jean Paul II, *id.*, 152.

(١٤) رج مز ١٩: ٢؛ حك ١٣: ١-٥؛ رو ١: ١٩-٢١.

(15) Cf. Pierre Claverie, *Petit traité de la rencontre et du dialogue*, Cerf, 2004, 48.

(١٦) رج خر ٣٢: ٩؛ تث ٩: ٦؛ ٣١: ٢٧؛ ٢ مل ١٧: ١٤؛ إر ٧: ٢٦؛ ١٧: ٢٣؛ با ٢: ٣٠؛ إلخ؛ كما نجد مرّات عدّة كيف يتمرّد الشعب على الربّ الإله في عد ٢٠: ٢٤؛ ٢٧: ١٤؛ تث ١: ٢٦؛ ٩: ٧، ٢٣، ٢٤؛ أش ٦٥: ٢؛ إر ٣: ١٤، ٢٢؛ ٥: ٢٣؛ حز ٢: ٣، ٨؛ نح ٩: ٢٦، ٢٩.

(١٧) رج إر ٧: ٢٣؛ ٢٤: ٧؛ ٣٠: ٢٢؛ ٣١: ٣٣؛ ٣٢: ٣٨؛ حز ١١: ٢٠؛ ١٤: ١١؛ ٣٦: ٢٨؛ ٣٧: ٢٣، ٢٧؛ با ٢: ٣٥؛ زك ٨: ٨.

بالعهد، يتعاون اللّٰه والإنسان في التاريخ الفعليّ والمشهود عليه، ويمكن للتاريخ أن يدعى مقدّسًا لأنّه حقًّا تاريخ الاثنين سويّة: تاريخ اللّٰه وتاريخ الإنسان.

تتوق ديناميّة العهد الإلهيّ–الإنسانيّ إلى التجسّد؛ فالعلاقة بين اللّٰه والإنسان المحقّقة طيلة قرون بالعهد تتبلور بالمسيح الذي هو في الوقت عينه إنسان كامل وإله كامل، وعليه، فالمسيح هو العهد المشخصن. إنّه تتمّة العهد ومحور التاريخ الإنسانيّ.

في الإسلام لا يوجد شعب مختار لأنّه لا يوجد عهد، وبالتالي فإنّ مفهوم "المسيح" فارغ من معناه. لا وجود للعهد في الإسلام، ولا يوجد أيّ تاريخ، كما أنّ اللّٰه لا يتدخّل البتّة في تاريخ الإنسان ليأخذه على عاتقه ويتحمّل وزر البشريّة، في حين أنّ اللّٰه في الكتاب المقدّس يدخل في تاريخ الإنسان ليقيم معه عهدًا يربطه به، ويطلب من الإنسان الأمانة للعهد.

–اللّٰه المخلّص

بالنسبة إلى مفهوم الخلاص، نراه يتطوّر ويتعمّق في الكتاب المقدّس؛ ففي العهد القديم يخلّص الربّ الشعب من العبوديّة في مصر ويهب ذاته بإعطاء اسمه (خر ٣: ١٤)، أمّا مجيء يسوع المخلّص[١٨]، فيفضي إلى أبعد من حيث يجرؤ الفكر الإنسانيّ أن يصل، إذ يغفر الخطايا[١٩]. في المسيح يسوع أعطى اللّٰه ذاته كلّيًا، لدرجة أنّه أصبح الخادم المتألّم حتّى الموت: "طُعِن بسبب معاصينا، وسُحِق بسبب آثامنا؛ نزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شُفينا (...). بسبب معصية شعبي ضُرب حتّى الموت، فجُعل قبره مع الأشرار، وضريحه مع الأغنياء، مع أنّه لم يصنع عنفًا، ولم يوجد في فمه مكر، بسبب عناء نفسه (...) يبرّر عبدي البارّ الكثيرين، وهو يحتمل آثامهم (...). أُحصي مع العصاة، وهو حمل خطايا الكثيرين، وشفع في معاصيهم (أش ٥٣: ٥، ٨–٩، ١١–١٢).

موضوع الفداء غائب كلّيًا في الإسلام، ولذلك فهو "لا يوفّر أيّ مساحة للصليب ولا للقيامة (...)؛ فالإسلام والمسيحيّة يتباعدان كثيرًا، ليس فقط في علم اللاهوت، بل أيضًا في الأنتروبولوجيا[٢٠]. لا يقبل الإسلام أبدًا بعهد تصاعديّ مع جميع البشر حيث يقود اللّٰه التاريخ ويهب ذاته لهم ليخلّصهم.

–شخص يسوع

بالنسبة إلى الإسلام، كما هي الحال بالنسبة إلى المسيحيّة، وُلد يسوع بصورة عجائبيّة من مريم العذراء والأمّ في آنٍ معًا[٢١]، ويقرّ الإسلام بهذه الأعجوبة دون أن يعطيها أيّ معنى، في حين أنّ المسيحيّة تعي أنّها مرتبطة بعمق بهويّة يسوع الإله الكامل والإنسان الكامل، وخاصّة بألوهيّته التي يرفضها الإسلام بكلّ قواه. هذا وإنّ يسوع يُدعى في القرآن عيسى، ففي حين أنّ اسم يسوع يعني "الربّ يخلّص"، فإن اسم عيسى لا يرمز البتّة إلى خلاص اللّٰه. إذًا، يسوع ليس له الاسم ذاته في القرآن، ثمّ إنّ المسلمين ينكرون موته وقيامته، كذلك الأمر بالنسبة إلى الخلاص الذي حقّقه على الصليب، فنجد الرفض القاطع لسرّ اللّٰه الذي ظهر في المسيح، إبن اللّٰه، عبر سرّ الصليب الذي لا يمكننا أن نتجنّب الإيمان به[٢٢].

(١٨) إسم يسوع يعني "الربّ يخلّص"؛ رج مت ١: ٢١؛ لو ١: ٣١، ٦٩؛ ٢: ١١، ٢١؛ ١٩: ١٠؛ يو ٣: ١٧؛ ٤: ٤٢؛ ١٠: ٩؛ ١٢: ٤٧.

(١٩) رج مت ٩: ٢–٧؛

(20) Cf. Jean Paul II, *id.*, 152.

(٢٠) هي التي قيل فيها: "والتي أحصنَت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" (٢١: ٩١).

(21) Cf. Claude Geffré, *La croix et le croissant*, Éditions de Paris, 1998, 80.

(٢٢) نأخذ بعض الأمثلة: فهو يتكلّم منذ مولده "إذ قال اللّٰه يَعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى وَلدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلاً..." (٥: ١١٠)، وأن يجعل العصافير من الطين تطير "إنّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا وأُبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى..." (٣: ٤٩) وغيره.

بالمقابل نجد بعض التلميحات القرآنيّة إلى العجائب التي اجترحها يسوع[٢٣]، وبعض الألقاب التي أعطيت له[٢٤]. لقد أعطى عيسى الإنجيل الذي نزل بشكل إملاء سماويّة: "وقفّينا على إثرهم بعيسى ابن مريم مصدّقًا لما بين يديه من التورَة وءَاتينَهُ الإنجيل فيه هدى ونور" (٥: ٤٦)؛ فالمسيحيّون يقرأون هذه الأعاجيب في الأناجيل المنحولة كإنجيل يعقوب، وإنجيل متى المنحول.

يرى المسيحيّون في يسوع "ابن الله"، وهم معتادون على هذه العبارة التي يجدونها منذ بداية المسيحيّة[٢٥]؛ ويعتبر المسلمون لقب "ابن الله" وكأنّه إله ثانٍ مولود من الإله الأوّل، ولادة جسديّة، وهذا بعيد جدًّا عن الإيمان المسيحيّ، لا بل نجد في القرآن نوعًا من السخرية في موضوع الثالوث[٢٦]: "وإذ قال الله يَعيسى ابن مريم، أنتَ قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلَـهين من دون الله..." (٥: ١١٦)، وهذا ما يذكّر بزواجات وولادات الآلهة الوثنيّة، ويؤدّي إلى وجود ثلاثة آلهة[٢٧]. وبالفعل، يحتجّ القرآن على ذلك، ويجعل من المسيحيّين كفّارًا كما نقرأ: "لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم" (٥: ١٧، ٧٢). والحال أنّ المسيحيّين لا يقولون ما ورد في هاتين الآيتين، بل يعبّرون عن إيمانهم بـ "أنّ المسيح هو إبن الله"، فينتقد القرآن هذه العبارة إذ "ما كان لله أن يتّخذ من ولد سبحنه"[٢٨]. وعندما يتكلّم يسوع عن نفسه أنّه "ابن الله"[٢٩]، والمسيحيّون يؤمنون ببنوّته الإلهيّة، فهم لا يقصدون أنّ الله يلد إلهًا صغيرًا بالقرب منه، ولا يعنون بقولهم إنّ بنوّة المسيح لله الآب تماثل بنوّة الفرعون لإله ما، ولا أيضًا ما يقصده الشعب اليهوديّ بقوله إنّه ابن الله (خر ٤: ٢٢)، ولا بالمعنى العامّ حيث إنّ جميع البشر هم أبناء الله الخالق. غالبًا ما تعني كلمة "الله" في العهد الجديد "الآب"؛ "فإنّ الله أحبّ العالم حتّى إنّه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة؛ فإنّ الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم" (يو ٣: ١٦–١٧)؛ فعبارة "ابن الله" التي يطبّقها المسيحيّون على شخص يسوع تعني "ابن الآب"، مثلاً: "يا أبتِ، مجّد ابنك" (يو ١٧: ١). ويمكننا أن نحدّد مفهوم "ابن الآب" بـ "في قلب الله الواحد"[٣٠]، إنّها البنوّة الداخليّة لحياة الله؛ ففي حميميّة الألوهة الواحدة، أي الله، يسوع هو ابن الآب منذ الأزل. ولهذا يقول يسوع: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، وهذا ما جعل اليهود يهدّدونه بالرجم حتّى الموت: "لا نرجمك للعمل الحسن، بل للتجديف، لأنّك، وأنت إنسان، تجعل نفسك الله" (يو ١٠: ٣٣).

إذًا، لا يطابق يسوع المسيحيّ عيسى المسلم.

خاتمة

لقد أصبح واضحًا أنّ الكلام بأنّ إله المسلمين وإله المسيحيّين هو نفسه يصحّ جزئيًا، أيّ في ما يخصّ

(٢٣) على سبيل المثال نذكر: "إذ قالت الملئكة يمريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم..." (٣: ٤٥)؛ "إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، ألقَها إلى مريم وروحٌ منه..." (٤: ١٧١)؛ "ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل..." (٥: ٧٥).

(٢٤) يفتتح الإنجيليّ مرقس إنجيله بهذه العبارة: "بدء بشارة يسوع المسيح ابن الله" (مر ١: ١)؛ ويتكلّم بولس الرسول مع أهل تسالونيقي قائلاً: "وتنتظرون أن يأتي من السماوات ابنه الذي أقامه من بين الأموات، ألا وهو يسوع الذي ينجّينا من الغضب الآتي" (١ تس ١: ١٠).

(25) Cf. François Jourdan, *id.*, 40.

(٢٦) "يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلّا الحقّ إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقها إلى مريم وروح منه فئامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم إنّما الله إله وحد سبحنه أن يكون له ولد له..." (٤: ١٧١).

(٢٧) رج ١٩: ٣٥؛ ١٠: ٦٨؛ ٢٥: ٢.

(٢٨) رج مت ١١: ٢٥–٢٧؛ لو ٢: ٤٨–٤٩؛ ٢٢: ٧٠؛ ٢٣: ٤٦؛ يو ٣: ١٨؛ ٥: ١٩–٢٦؛ ٦: ٤٠؛ ١٤: ١٣؛ ١٧: ١.

(29) Cf. François Jourdan, *id.*,40.

وحدته، دون أن نعنيه هو بذاته.

ففي الإسلام يجمل التركيز على الإله المتسامي، إذ كم وكم من البشر الذين يدّعون المعرفة يحاولون أن يجعلوا أنفسهم آلهة ويحاولون أخذ مكان الخالق، وكم وكم من الذين جحدوا إيمانهم يخلقون آلهة على قدر نظرتهم ويصبحون عبيدًا لها؛ من ناحية ثانية، يحلو التأمّل باللّٰه العالِم بكلّ شيء، لأنّ الإنسان مهما علا من شأنه، ومهما زاد من معرفته، فهو سيظلّ مكتنفًا بالأسرار، كما إنّ فكرة الاستسلام للخالق لهي من أسمى درجات التقوى لدى المؤمن.

أمّا في المسيحيّة فاللّٰه هو الواحد–الثالوث الذي ليس من تأليف الكنيسة، بل هو ذاته كشف عن جوهره الثالوثيّ عبر تاريخ الخلاص، وحين يعجز الفكر الإنسانيّ عن فهم سرّه يجيبنا يوحنّا أنّ الذي يحبّ يرفض أن يبقى وحيدًا، ولذلك فهو ثالوث، أي هو محبّة (١ يو ٤: ١٦)؛ وعليه، فالمسيحيّة تؤمن بإله واحد وليس بإله وحيد، هي تؤمن بوحدانيّة اللّٰه وليس بوحدته. ثمّ، إنّ اللّٰه الخالق يخلق الإنسان على صورته كمثاله، ويعطيه السلطان ليشاركه في الخلق، إنّه الأب الذي يريد أن ينمو أبناؤه ليصبحوا "على مقدار قامته"، واللّٰه هو الموحي بمضمون الكتاب المقدّس، ولكنّه يترك المجال للإنسان ليشاركه في صياغة الأفكار؛ إنّه الإله الذي يثق بالإنسان، صنعة يديه، ويجعله ناطقًا باسمه، كما إنّه إله الحبّ والعهد، الإله الذي يتنازل ليقيم علاقة على قدم المساواة بينه وبين الإنسان، وهو الإله المتجسّد بالمسيح يسوع الذي أفرغ ذاته على الصعيد الإلهيّ، لأنّه، كما يقول القدّيس كيرلّس الأورشليميّ: "لو كان التجسّد مظهرًا لكان الخلاص مظهرًا أيضًا"، وهو الفادي الذي أخلى ذاته على المستوى الإنسانيّ، "فأخذ عاهاتنا وحمل أوجاعنا" حبًّا بنا، وأخيرًا، هو الذي سفك دمه على صليب الفداء لأنّه، حسب قوله: "ليس لأحد حبٌّ أعظم من أن يبذل نفسه في سبيل أحبّائه" (يو ١٥: ١٣).

المراجع

Claverie Pierre, *Petit traité de la rencontre et du dialogue*, Cerf, 2004.

Geffré Claude, *La croix et le croissant*, Éditions de Paris, 1998.

Jean Paul II, *Entrez dans l'espérance*, Plon/Mame, 1994.

Jourdan François, *Dieu des chrétiens, Dieu des musulmans, des repères pour comprendre*, Éditions de l'Oeuvre, 2008.

Laurent Annie, *Vivre avec l'Islam*?, Saint Paul, 1996.

Varillon François, *Un chrétien devant les grandes religions*, Bayard/Centurion, 1995.

شريف محمد هاشم
الإسلام والمسيحية
في الميزان
الإسلام
المسيحية

الوحي والإلهام والتنزيل بين المسيحيّة والإسلام

الخوري جان عزّام
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

كلمة "إلهام" هي الكلمة الأساسيّة في تعريف المسيحيّة لعمل الروح القدس في دفع الكتّاب الملهمين لتحرير الكتب المقدّسة التي تؤمن بها الكنيسة، إن في كتب العهد القديم وإن في كتب العهد الجديد. أمّا الإسلام فيفضّل الكلمة "تنزيل" على الكلمة "إلهام".

والفرق بين "الإلهام" و"التنزيل" هو أنّ المصطلح الأوّل يعبّر عن مساعدة الروح القدس للكتّاب الملهمين ليضعوا كتابةً محتوى الإيمان الصحيح، المعبّر عنه في هذه الكتب، دون تخطّي مقدّراتهم البشريّة في الكتابة، من حيث اللغة والأسلوب، أو معرفتهم العلميّة والتاريخيّة للأحداث التي يذكرونها: مفهوم الإلهام لا يعصم الكتّاب الملهمين من إمكانيّة وقوعهم في الخطأ في التاريخ المحدّد للحدث، أو في مكان وقوعه، أو في بعض الأسماء المذكورة، كما أنّه لا يعتبر أنّ الروح القدس قد استبق وأعطاهم معرفة علميّة أكبر أو أكمل من معرفة جيلهم العلميّة للأمور التي يكتبون بشأنها، والتي يمكن أنْ تتخطّاها المعرفة الحاليّة أو تنقضها. والتفسير المسيحيّ للنصوص يأخذ بعين الاعتبار أنّ الكتّاب الملهمين يستعملون "أنواعًا أدبيّة" تتضمّن صورًا بيانيّة أو رموزًا أو بعض المبالغات التصويريّة للتعبير عن الحقائق التي يُخبرون عنها. كلّ هذه الوسائل البشريّة بالتعبير ليست هي المضمون الإيمانيّ، أي الوحي الإلهيّ، ولا تؤثّر بشيء على هذا المضمون الإيمانيّ نفسه، بل بالعكس، هي تهدف إلى إظهاره بأفضل حلّة بحسب مواهب الكاتب الأدبيّة.

أمّا الإسلام، فيعتقد أنّ "التنزيل الإلهيّ للقرآن" هو معجزة إلهيّة تطال، لا مضمون الآيات القرآنيّة وحدها، بل أيضًا لغة القرآن الإعجازيّة وكلّ معلومة يتضمّنها القرآن، التي يجب اعتبارها حقيقة علميّة إلهيّة ثابتة لا يمكن نقضها، وهذا يطال أيضًا الصور البيانيّة التي تجب قراءتها قراءة حرفيّة. وما يعبّر عن هذا المفهوم الإسلاميّ للتنزيل هو إيمانه بالمعجزة الأساسيّة التي عملها الله مع محمّد، بأنّه لم يكتفِ بتلقينه، على يد الملاك جبريل، محتوى التنزيل الإلهيّ للآيات القرآنيّة، بل جعله قادرًا على كتابتها، وهو الأمّيّ الذي لم يكن يعرف لا القراءة ولا الكتابة في زمن تنزيل الآيات. بهذا المعنى، فالآيات القرآنيّة هي بمجملها، مضمونًا وأسلوبًا ولغة وكتابة، آيات إلهيّة معصومة عن أيّ خطأ، ولا يمكن ادّعاء أيّ إمكانيّة لخطأ بشريّ فيها، بما في ذلك محتواها العلميّ أو الاجتماعيّ...

هذا عن الفرق بين الإلهام والتنزيل، أمّا عن مفهوم الوحي في المسيحيّة والإسلام، فهو ما سنتناوله تفصيلاً في هذه المقالة، بمعنى أنّنا سنركّز هنا على الفرق بين محتوى التعليم القرآنيّ والكتابيّ، لا في التفاصيل

العقائديّة، بل في جوهر هذا المضمون.

وسنعرض هنا لتعاليم إسلاميّة عن الوحي مكتفين بتلخيص ما تعبّر عنه، ومقابلته بالتعليم المسيحيّ، كما جاء في تعليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني عن الموضوع عينه، وذلك في سبيل إظهار ما يمكن اعتباره نقاط لقاء أو اختلاف بين الإسلام والمسيحيّة في مقاربتهما لهذا الموضوع الجوهريّ.

١ – الوحي في الإسلام

نستعين في ما يلي بما جاء حرفيًّا في بعض المقاطع التي تهمّنا، أوّلاً من مقالة لسماحة الشيخ صالح الكرباسي، حول "ماهيّة الوحي"[١]، وثانيًا من كتاب لسماحة الشيخ مصطفى عبد الرزّاق، تحت عنوان: **الدين والوحي والإسلام**[٢].

أوّلاً: ما هو الوحي ؟

بحسب الشيخ صالح الكرباسي، "الوحي في المصطلح الإسلاميّ هو، كما قال العلاّمة المحقّق السيّد مرتضى العسكريّ[٣]، كلمة اللّه جلّ اسمه، التي يلقيها إلى أنبيائه ورسله بسماع كلام اللّه جَلَّ جَلالُه، دونما رؤية اللّه سبحانه، مثل تكليمه موسى بن عمران (عليه السَّلام)، أو بنزول ملك يشاهده الرّسول ويسمعه، مثل تبليغ جبرائيل (عليه السَّلام) لخاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله)، أو بالرؤيا في المنام، مثل رؤيا إبراهيم (عليه السَّلام) في المنام أنّه يذبح ابنه إسماعيل (عليه السَّلام)، أو بأنواع أخرى لا يبلغ إدراكها علمنا.

قال أستاذنا المحقّق آية الله الشيخ محمد هادي معرفة (حفظه الله) في موسوعته القرآنيّة القيّمة ما ملخّصه: "وبما أنّ الوحي ظاهرة روحيّة، فإنّه بأيّ أقسامه اتّفق فإنّما كان مهبطه قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أي شخصيّته الباطنة ـ الروح.

قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. و قال جَلَّ جَلالُه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾. والقلب هو لبّ الشيء و حقيقته الأصليّة".

وقال العلاّمة الكبير السيّد محمّد حسين الطباطبائي في مسألة نزول القرآن على قلب الرسول: "وهذا إشارة إلى كيفيّة تلقّي القرآن النازل عليه، وأنّ الذي كان يتلقّاه من الروح هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواسّ الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئيّة خارجيّة؛ فكان يرى شخص الملَك ويسمع صوت الوحي، ولكن لا بهذه يسمع أو يبصر هو دون غيره، فكان يأخذه برحاء الوحي وهو بين الناس، فيوحي إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون..."[٤].

ثانيًا: أهمّ النظريّات في تفسير الوحي

من جهته، يشرح الشيخ مصطفى عبد الرزّاق، وهو من مشايخ الأزهر، معاني كلمة "وحي" في اللغة وفي استعمالها المتنوّع في القرآن[٥]، ثمّ ينتقل لشرح أهمّ النظريّات في تفسير الوحي[٦]، وهذا بعض ما جاء فيها:

"مذاهب المتكلّمين في الوحي

(١) صالح الكرباسي، "ما هو الوحي؟"، في: http://www.islam4u.com/ar/almojib

(٢) عبد الرزّاق مصطفى، **الدين والوحي والإسلام**، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٤٣–٥٩.

(٣) مرتضى العسكري، **مصطلحات قرآنية**.

(4) http://www.islam4u.com/ar/search/content

(٥) عبد الرزّاق مصطفى، **المرجع ذاته**، ص ٣٥–٤٥.

(٦) عبد الرزّاق مصطفى، **المرجع ذاته**، ص ٤٧–٥٩.

مذاهب المتكلّمين من أهل السنّة خصوصًا تنزع في تفسير الوحي نزوعًا جسمانيًّا يناسب ما ورد في أكثر السنن، وما تدلّ عليه ظواهر الآيات في غير موضع من القرآن الكريم. ويتناول المتكلّمون مباحث الوحي غالبًا من ناحيتين:

– الأولى: وحي القرآن الكريم إلى محمّد بواسطة جبريل.

– الناحية الثانية: الوحي الحاصل بسماع كلام الله من غير واسطة.

الناحية الأولى: وحي القرآن إلى محمّد

الملائكة عند المتكلّمين أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة خلافًا للفلاسفة وأوائل المعتزلة. والقرآن منزل على النبيّ بواسطة جبريل، وفي كيفيّة إنزال القرآن ثلاثة أقوال:

أوّلها: أنّه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثمّ نزل بعد ذلك منجمًا في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو عشرين سنة حسب اختلاف المؤرّخين.

وثانيها: أنّه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة من ليالي القدر، ينزل في كلّ ليلة منها ما يقدّر لله إنزاله في كلّ السنة، ثم ينزل بعد ذلك هذا القدر منجمًا في جميع السنة.

والثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات...".

"... وأشهر ما قيل في المنزل على النبيّ ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّه اللفظ والمعنى،

وثانيها: أنّ جبريل نزل بالمعاني خاصّة، وأنّه علّمها وعبّر عنها بلغة العرب، وقد تمسّك أصحاب هذا المذهب بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾؛

وثالثها: أنّ جبريل أُلقي عليه المعنى، وأنّه عبّر عن هذا المعنى بلغة العرب؛ لأنّ أهل السماء يقرأونه بالعربيّة، ثمّ نزل به في هذه الصورة على الرسول...".

"... ومنهم من قال: كلام الله المنزل قسمان:

– قسم قال الله تعالى بشأنه لجبريل قل له كذا وكذا؛ فيجوز تغييره بعبارة نفسه؛

– وقسم قال له بشأنه إقرأ عليه كذا كذا، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفًا. ويرى أصحاب هذا المذهب أنّ القرآن هو القسم الثاني، وأنّ القسم الأوّل هو السنة، لما ورد أنّ جبريل نزل بالسنة كما نزل بالقرآن، ولهذا لم يجز تغيير نظم القرآن وجاز تغيير لفظ السنة...".

٢– الوحي في المسيحيّة

سنبيّن في ما يلي تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة عن الوحي، وذلك بإيرادٍ حرفيّ لبعض المقاطع كما وردت في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تحت عنوان: "كلمة الله: دستور عقائديّ في الوحي الإلهيّ".

طبيعة الوحي

لقد حَسُنَ لدى الله، بجودته وحكمته، أن يكشف عن ذاتِهِ ويُعلِنَ سِرَّ إرادته (رج أف ١: ٩)، الذي به يتوصَّلُ البشر إلى الآب في الروح القدس، بالمسيح الكلمةِ المتجسّد ويصيرون شركاءَ في الطبيعةِ الإلهيَّة (رج أف ٢: ١٨؛ ٢ بط ١: ٤). فإنَّ الله غير المنظور (رج كول ١: ١٥؛ ١ تيم ١: ١٧) بفَيضٍ من محبّته للبشر، يُكالِمهم كأحبّاءَ (رج خر ٣٣: ١١؛ يو ١٥: ١٤–١٥)، ويتحدَّثُ إليهم (رج با ٣: ٣٨) ليدعوهم إلى شركته ويقبلهم فيها. وتدبيرُ الوحي هذا يقومُ بالأعمال والأقوال التي ترتبط في ما بينها ارتباطًا وثيقًا، بحيثُ أنَّ الأعمال التي حقَّقَها الله في تاريخ الخلاص تُبرِزُ العقيدةَ والحقائقَ التي تُعَبِّرُ عنها الأقوالُ وتدعمُها، بينما الأقوالُ تعلنُ الأعمالَ وتوضح السرَّ الذي تَحويه. أمَّا الحقيقة الخالصة التي يُطلعنا عليها الوحي، سواءَ عن الله أم عن خلاص الإنسان، فإنَّها تسطعُ لنا في المسيح الذي هو وسيطُ الوحي بكامِلِه وملوءُهُ في آنٍ واحد.

التمهيد للوحي الإنجيليّ

إنَّ الله الذي يَخلُقُ كلَّ شيء بالكلمة (رج يو ١: ٣) ويحفظُهُ، يُعطي البشرَ شهادةً دائمةً عن ذاته في الخليقة (رج رو ١: ١٩–٢٠). علاوةً على ذلك فإنَّه مُنذ البدء أَظْهَرَ ذاتَه لأبوَينا الأوّلَين، إذ أراد أن يفتحَ لهما طريق الخلاصِ العُلويّ؛ فبَعدَ أن سقطَا ووعدَهما بالفداء، أقامَهما على رجاءِ الخلاص (رج تك ٣: ١٥)، وأحاط الجنسَ البشريَّ بعنايةٍ مستمرَّةٍ، ليَهَبَ الحياةَ الأبديّةَ لكلِّ مَن بالصبرِ على العمل الصالح، يَطلُبُ الخلاص (رج رو ٢: ٦–٧). وفي حينه، دعا إبراهيمَ ليجعل منه أُمَّةً عظيمةً (رج تك ١٢: ٢) علَّمَها بواسطةِ الآباء، ومن بعدهم بواسطةِ موسى والأنبياء، أن تعرفَهُ هو الإلهُ الوحيدُ الحيُّ والحقيقيُّ، الآبُ المُدبِّرُ والقاضي العادل، وأن تنتظرَ مجيءَ المُخلِّصِ الموعودِ به. وعلى هذا المنوال مهَّدَ اللهُ الطريقَ للإنجيلِ مدى الأجيال.

المسيح كمال الوحي

إنَّ الله، بعد أن تكلَّم تكرارًا وبطرقٍ مختلفة بالأنبياء، "كلَّمَنا في هذه الأيّام الأخيرة بالابن" (عب ١: ١–٢)؛ فلقد أرسل ابنه، الكلمةَ الأزليّ الذي يُنيرُ كلَّ إنسان ليقيمَ بين البشرِ ويُخبرهم عن خفيّاتِ الله (رج يو ١: ١–١٨). ويسوعُ المسيحُ، الكلمةُ المتجسِّدُ والإنسانُ المُرسَل إلى الناس(٣)، يتكلَّمُ إذًا بكلام الله (يو ٣: ٣٤)، ويُتمِّمُ العملَ الخلاصيَّ الذي أعطاهُ إيّاه الآب ليعمله (رج يو ٥: ٣٦؛ ١٧: ٤). وعليه فهو الذي، إن رآه أحدٌ فقد رأى الآب (رج يو ١٤: ٩) بحضورِهِ الذاتيّ الكامل وبظهورِهِ، وبأعمالِهِ وأقوالِهِ، وبآياتِهِ ومعجزاتِهِ، وخاصّةً بموتِهِ وقيامتِهِ المجيدة من بين الأموات، وأخيرًا بإرساله روحَ الحقِّ، يُتمِّمُ الوحيَ ويُكمِّله ويثبّته، إذ يَشهَدُ شهادةَ الإلهِ أنَّ الله معنا لينشلنا من ظلمات الخطيئة والموتِ ويُقيمنا للحياة الأبديّة. وبالتالي فإنَّ التدبيرَ المسيحيَّ الذي هو العهدُ الجديدُ والنهائيّ لَن يزولَ أبدًا، ولَن يُرجى أيُّ وحيٍ جديدٍ عَلَنيٍّ قبل الظهورِ المجيدِ لسيّدنا يسوع المسيح (رج ١ تيم ٦: ١٤؛ تي ٢: ١٣).

٣– مفهوم الوحي بين الإسلام والمسيحيّة

مع التحفّظ على ما قد يكون فاتنا من تفاصيل أخرى، نستطيع أن نستخلص من كلّ ما سبق، وبمعزل عن التفاصيل، إن لجهة ماهيّة الوحي أو لجهة كيفيّة حصوله، بأنّ الوحي كما الإلهام في الإسلام، خصوصًا في ما يتعلّق بإنزال القرآن، يتضمّنان تعليمًا إلهيًّا يُعطَى لمحمّد نبيّ الإسلام، بوسائل متنوّعة، وعلى محمّد أن ينقله إلى الناس كتابة، في القرآن، وعلى الذين يقرأون القرآن أن يعملوا به حرفيًّا كما ورد، مع احتفاظ الاجتهاد لعمليّة تفسير النصوص وليس لمحتوى هذه النصوص بحدّ عينها. ونلاحظ أيضًا، بأنّ محتوى الوحي، كما عمليّة إيصال الوحي، على حدّ سواء، لا يتضمّنان اختبار محمّد لإرادة الله من خلال ما يفعله الله معه ومع المؤمنين في أحداث تاريخيّة محدّدة، بل يتعلّق الأمر برسائل مباشرة يتلقّاها محمّد من جبرائيل أو بواسطة أخرى، فيكتبها في القرآن، وهي تتضمّن التعليم الإلهيّ في العقيدة والأخلاق وغيرها من الموضوعات التي نجدها مكتوبة في القرآن؛ ويشدّد غالبيّة العلماء على أنّ محمّد، عند تلقّيه القرآن، لم يكن مشاركًا في أيّ من المحتوى أو اللغة أو الأسلوب التي صيغت فيها الآيات، ولذا فجملة ما يتضمّنه القرآن هو إلهيّ ولم يكن لمحمّد أيّ تأثير عليه، لا بحواسّه، ولا بمعرفته البشريّة، ولا بأيّ شكل آخر. وأخيرًا، نلاحظ بأنّ البعد التاريخيّ للوحي شبه مفقود في القرآن، وجلّ ما يحتويه هو تعاليم عقائديّة وأخلاقيّة وسننًا وقوانين إلهيّة مُنزلة من الله العلي.

أمّا في المسيحيّة، فإنّ البعد التاريخيّ للوحي الإلهيّ يقوم في جوهر على ما يعتبره المسيحيّون إظهار الله لذاته ولإرادته في الخلاص. ينطلق الوحي في المسيحيّة من قصّة الخلق (تك ١–٢)، التي لا تدّعي أنّها أُنزلت حرفيًّا من الله، بل هي خلاصة لاهوتيّة تشدّد على أنّ الله هو الخالق الأوحد وعلى أنّه خلق كلّ شيء بحبّ، بالأخصّ تجاه الإنسان المخلوق على صورة الله كمثاله.

ويبيّن الكاتب المُلهَم بأنّ الإنسان قد خطئ تجاه الله، بعصيانه لأوامره، فنتج عن ذلك غربة الإنسان عن الله خالقه، وعن الإنسان الآخر (المرأة)، وحتّى عن نفسه (تك ٣). ولكن، أمام هذه الخطيئة، لم يتراجع الله عن حبّه للإنسان، فبدأ معه تاريخ خلاص، ستذكر الفصول الإحدى عشر من سفر التكوين خلاصته الأولى (تك ١–١١)، ثمّ ستبدأ بإخبار هذا التاريخ بالتفصيل مع إبراهيم والآباء، ثمّ مع الخروج من مصر بذراع الربّ القديرة، فالمسيرة في الصحراء والدخول إلى أرض الميعاد، ثمّ في تاريخ المملكة مع شاول وداود ونسله... إلى السبي في بابل والعودة من السبي، ثمّ انتظار مجيء المسيح... حتّى ولادة ربّنا وإلهنا يسوع المسيح وحياته، حتّى صلبه وموته وقيامته وحلول الروح القدس على التلاميذ وانطلاقهم للتبشير في كلّ الأرض. كلّ هذا التاريخ يتضمّن طبعًا أقوالاً إلهيّة قالها الله للآباء والأنبياء وللرسل، ولكنّ هذه الأقوال تأخذ معناها الجوهريّ من كونها تترافق مع أعمال الله في حياة كلّ هؤلاء وفي حياة الجماعة التي كانوا ينتمون إليها. وحتّى أخبار الحروب والخطايا والمعاثر التي وقع فيها بعض من هؤلاء الآباء والأنبياء والمرسلين قبل اهتدائهم النهائيّ لله، كما خطايا شعب إسرائيل نفسه وتمرّده المستمرّ، تساعدنا في فهم إرادة الله الخاصّة، وتجعلنا نفهم حقيقة هذه المشيئة الأبويّة الحبيبة في من كلّمهم بالأقوال والأعمال، كما يقول المجمع الفاتيكانيّ الثاني.

وتقول الرسالة إلى العبرانيّين بأنّ الله "كلّم الآباء قديمًا (العهد القديم) في الأنبياء مرّات كثيرة وبأنواع شتّى، وفي آخر هذه الأيّام كلّمنا بالابن...". وكما نعلم، فإنجيل يوحنّا يؤكّد بأنّ ابن الله، يسوع المسيح، هو "كلمة الله"، وأنّ هذه الكلمة قد "صار بشرًا وسكن بيننا" (يو ١: ١ و١٤)؛ فكلام الله النهائيّ في ابنه لم يكن أيضًا من خلال إنزال كتاب عن إرادة الله وأوامره وتعليمه، بل من خلال حياة المسيح كلّها بما تتضمّنه من أقوال وأعمال، وأعظمها كلمة الصليب، التي لم تكن كلمة كتابًا أو تعليمًا عن الفداء، بل فعلاً حقيقيًّا افتدانا به الله من خلال المسيح ابنه، أي من خلال حدث موته وقيامته؛ فالمسيحيّة ليست بالدرجة الأولى ديانة سماويّة، بمعنى أنّها تتضمّن تعاليمًا سماويّة، ولا هي ديانة كتاب مُنزل من السماء، وليست حتّى ديانة بالمعنى المعروف لهذا التعبير: المسيحيّة هي وليدة حدث خلاصيّ قبل أن تكون تعليمًا عقائديًّا عن الله أو تعليمًا أدبيًّا أخلاقيًّا واجتماعيًّا عن أوامره. إنّها حدث خلاصيّ دائم الحضور والفعاليّة لمن يؤمن به ويقبله، لأنّ الذي حقّق هذا الحدث حيّ دائمًا معنا، وكلمته لا تكون أبدًا مجرّد تعليم يجب حفظه والعمل به، بل كلمة تحقّق الخلاص فورًا لكلّ من يستقبلها، وتنقله، كما المسيح، من أيّ واقع موت يعيشه إلى واقع خلاص وحياة.

خلاصة

لا تهدف هذه المقارنة إلى تقييم لمفهوم الوحي بين المسيحيّة والإسلام، بل إلى إظهار الفارق بين الإثنين، والذي يتعلّق بشكل خاصّ بالبعد التاريخيّ لكلام الله في المسيحيّة، بينما هو شبه غائب في الإسلام. طبعًا، الكتب المقدّسة المسيحيّة تتضمّن أيضًا، عدا عن الوحي التاريخيّ، بعضًا من تعاليم وأقوال قالها الله لأنبيائه أو قالها المسيح لرسله، وهي تتضمّن تعاليم عقائديّة وأخلاقيّة، وبهذا يكون جزءًا من مفهوم الوحي القرآنيّ الموجود أصلاً في الكتب المقدّسة المسيحيّة؛ ولكن هنا أيضًا فارق بين تعليم إسلاميّ منزل دفعة واحدة أو خلال فترة زمنيّة محدودة، وتعليم مسيحيّ هو ثمرة كلمة إلهيّة فعّالة في التاريخ الخلاصيّ قمّتها كلمة الله المتجسّد، يسوع المسيح، وتطال اختبار الآلاف من الناس قبل أن يكتبها الكتّاب الملهمون بدفع من الروح القدس.

لا شكّ أن الإسلام والمسيحيّة هما في حوار مستمرّ، وهذا الحوار مطلوب بشدّة أوّلاً من خلال معرفة كلّ واحد للآخر كما هو، وثانيًا من خلال الاحترام الذي يجب أن يكنّه الواحد للآخر بما يختلف عنه في

العقيدة أو في أيّ أمر آخر، وثالثًا من خلال الاستفادة ممّا يجمعنا، كما حصل مؤخّرا في عيد البشارة الذي صار عيدًا وطنيّا لكلّ اللبنانيّين. من جهة أخرى، يجب أن نعترف بأنّ الحوار العقائديّ على وجه الخصوص، يصعب الوصول عبره إلى أيّ اتّفاق جوهريّ، أمّا الحوار في التاريخ والعيش معا والتعاضد والتسامح وتعابير المحبّة التي يكنّها الناس بعضهم لبعض، بالقول والعمل، في العلن كما في داخل البيوت والمعابد، فهي التي تقود إلى اختبار مشترك، ولو لكلّ على طريقته، بأنّ أعظم وحي هو محبّة الله لنا جميعا، ورغبته في أن نحبّ بعضنا بعضا كما هو أحبّنا: "ليس من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه في سبيل أحبّائه" (يو ١٥: ١٣).

مراجع

المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **كلمة الله، دستور عقائديّ في الوحيّ الإلهيّ**.

عبد الرزّاق مصطفى، **الدين والوحي والإسلام**، القاهرة، ٢٠١٢.

صالح الكرباسي، "ما هو الوحي؟"، في: http://www.islam٤u.com/ar/almojib

الطباطبائي محمد حسين، في: http://www.islam٤u.com/ar/search/content

هل حرّف النصارى الإنجيل؟

الأب مارون عوده
دكتور في اللاهوت، اختصاص إسلاميّات

مقدّمة

أنزلَ اللهُ في القرآن أنّ عيسى بن مريَم بَشَّرَ بنَبيّ يأتي بعده اسمه أحمد[١]: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٢]. ثمّ أجابَ رسول الله حين سأله الصحابة عن نفسه قال: "دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام"[٣].

حتّى النجاشي ملك الحبشة قال للمهاجرين المسلمين حين أتوا إلى حمايته: "يا معشر الحبشة والقسّيسين والرهبان والله ما يزيدون (المسلمون) على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده (محمّد)، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه بشر عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم..."[٤].

ينطلق المسلمون من هذه المعطيات ليقولوا إنّ النصارى حرّفوا الإنجيل وحذفوا منه بشارة عيسى بمحمّد، إذ جاء في السيرة النبويّة في فقرة صفة رسول الله من الإنجيل: "مما أثبت يُحَنّس (يوحنّا الإنجيليّ) الحواريُّ لهم، حين نَسخ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله إليهم قال: ... فلو جاء المنْحَمَنَّا هذا الذي يُرسله الله إليكم من عند الربّ، [و] روح القدس، هذا الذي من عند الربّ خَرَج، فهو شهيدٌ عليّ وأنتم قديمًا كنتم معي في هذا قلتُ لكم: لكيما لا تشكوا. والمنْحَمَنَّا [بالسريانيّة]: محمد: وهو بالروميّة البرَقليطس"[٥].

---

(١) قال رسول الله: "إن لي أسماء أنا محمّد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر..." (**ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ج ٨، ص ١٠٨).

(٢) سورة **الصف**: آية ٦.

(٣) **ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ج ٨، ص ١٠٩.

(٤) **ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ج ٨، ص ١٠٩.

(٥) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ١٧٨– ١٧٩. جاءت هذه الفكرة يوم كان ابن اسحاق يفسر نصّ يوحنّا الإنجيليّ ١٥: ٢٤– ٢٧ في القرن الثاني للهجرة، أي القرن الثامن للميلاد.

إنطلاقًا من هذا الواقع الكتابيّ الإسلاميّ، يشعرُ بعض المسيحيّين اليوم بعقدة ذنبٍ تجاه المسلمين، وهناك قسم آخر من المسيحيّين يحاولون توثيق هذه المعطيات بالرجوع إلى أصول اللغات القديمة وخصوصًا السريانيّة واليونانيّة. أمّا في الجهة المقابلة عند الإسلام، فينتظر البعض منهم موقفًا كنسيًّا صريحًا وعلنيًّا يتناول حقيقة الإنجيل المحرّف، ويطالبونها بالكشف عن الإنجيل الأصيل الموجود في أقبية الفاتيكان!

بعيدًا عن هذه الجماعات وأفكارها القديمة المتجمّدة، ظهرت أبحاث علميّة تنقض كلّ تلك المعطيات مستندةً على التاريخ وعلى عاديّات قبائل الجزيرة العربيّة والحجاز، خصوصًا في مكّة والمدينة يثرب حيث أنزل الله القرآن على محمّد، التي تشهد بوجود كتابات نصرانيّة لا تمتّ إلى الإنجيل والمسسيحيّين بصلة. تنطلق تلك الأبحاث من الواقع الكتابيّ آنذاك، ومن المعلومات الكتابيّة لدى الصحابة واليهود الأنصار في مكّة والمدينة.

نتيجةً لما تقدّم، سأحقّق في هذا البحث حقيقة التحريف أوّلاً، مبيّنًا إذا كان محمّد يعرف جماعات مسيحيّة ذات إيمان مستقيم، وهل كان يعرف أيًّا من الأناجيل القانونيّة (متّى، مرقس، لوقا ويوحنّا)، وثانيًا، ما هي أسباب نزول بشارة عيسى بمحمّد؟ وما هي استنادات المفسّرين المسلمين لتلك الآية القرآنيّة؟ وفي النهاية سأعلن موقفي الشخصيّ من قضية التحريف.

١ – الأناجيل القانونيّة والأناجيل المنحولة

حدّدت الكنيسة الجامعة في مجمع روما، سنة ٣٨٢، أسفار العهد الجديد من الأناجيل القانونيّة وهي: "متّى، مرقس، لوقا ويوحنّا"[٦]. إنطلقت الكنيسة في تحديدها هذا استنادًا إلى الحقائق الثلاث:

– التأكّد من تاريخيّة الأناجيل الأربعة، التي تنقل بأمانة ما عمله في الحقيقة يسوع ابنُ الله، وما علّمه، سحابةَ حياته بين البشر، في سبيل خلاصهم الأبديّ، إلى اليوم الذي رُفع فيه إلى السماء.

– ما قاله الربُّ وما عملَه، نقله الرُسُل بعد صعوده، إلى مستمعيهم، مع ما نعموا به من فهم أعمقَ للأمور اكتسبوه من أحداث المسيح المجيدة وعلى ضوء روح الحقّ.

– دوّن الكتّاب الإلهيّون الأناجيل الأربعة مختارين بعضًا من العناصر الكثيرة التي بلغَتهم عن طريق الرواية، أو عن طريق كتابة سابقة، أو مدوّنين خلاصةً لما تبقّى منها، أو مفسّرين لها تبعًا لأحوال الكنائس، وناهجين أخيرًا النهج الإرشاديّ، بحيث يقدّمون لنا أبدًا عن يسوع أمورًا حقيقيّة وصادقة[٧].

بعد أن تبنّت الكنيسة الجامعة هذه الأناجيل القانونيّة، نبذت باقي الأناجيل التي تعتبرها منحولة وغير قانونيّة، حتّى تلك التي كانت معتمدة في بعض الكنائس المحلّيّة: مثل إنجيل الطّفولة العربيّ، الإنجيل إلى العبرانيّين، وإنجيل يعقوب التّمهيديّ... رفضتها الكنيسة بسبب جهل كاتبها الأصيل، وكونها لا تعبّر عن العقيدة الصحيحة التي تؤمن بها الكنيسة، ولأنّ بعضها كُتب لجماعات خاصّة تتوسّل الغنوصيّة واسطة لمعرفة السرّ الإلهيّ.

صوَّرَت الأناجيل المنحولة يسوع طفلاً مولودًا من عذراء، ساحرًا يجترح الخوارق، ووضعت مريم أمّ يسوع بمصافّ الآلهة تجترح المعجزات بواسطة أغراض يسوع وتستحقّ العبادة. أنكرت حدث صلب يسوع التاريخيّ وموته وقيامته، وأنكرت بنوّته لله. بينما تعلن الأناجيل القانونيّة ألوهيّة يسوع المسيح بالرغم من تجسّده من مريم العذراء. وتؤكّد صلبه تاريخيًّا وموته

(٦) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ٢٠٠١: رقم ١٧٩.

(٧) التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٩٩٩: رقم ١٢٦.

وقيامته. وفي النهاية تعلنه محقّق كتب العهد القديم[٨].

في المحصّلة، حسمت الكنيسة أمرها في شأن الأناجيل القانونيّة والمنحولة قبل التنزيل القرآنيّ بأكثر من مئتَي سنة ونيّف، إذ لا أناجيل سوى متّى، مرقس، لوقا ويوحنّا، وكلّ ما زاد على ذلك فهو من الشيطان. وتؤمن الكنيسة الجامعة بيسوع المسيح ابن الله المائت على الصليب والقائم من الموت، وهو محقّق النبوءات، وهي لا تنتظر نبيًّا يأتي من بعده، لأنّه أرسل لها روحه القدوس ليقدّسها ويحميها من حيل الشرير[٩]. أمّا الأناجيل المنحولة أو المحرّفة فكلّها مرفوضة لأنّها لا تتكلّم عن يسوع المسيح الربّ، بل عن شخصيّة أخرى استعملت لتشويه صورة يسوع المسيح، ولتشتيت إيمان المسيحيّين الذين يؤمنون بالمسيح الربّ القائم من الموت.

٢- بشرى يسوع بأحمد

يومَ كان محمّد يواجه عدم وفاء الأنصار بعهدِهم في تأخُّرهم عن فتح مكّة، بعد أن ترك الكثير منهم مواقعهم في معركة أُحُد[١٠]، أنزل الله عليه سورة الصفّ داعمًا جهادَ محمّد، وطالبًا من الأنصار الجهاد في سبيله قائلاً لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[١١]. كما أكّد لهم شرعيّة نبوّة محمّد بعد أن أنّبَهُم على معصية أجدادهم لموسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٦﴾[١٢].

لا نجد إعلان عيسى هذا في العهد الجديد إطلاقًا، لكنّ الله أنزل في القرآن أنّ محمّدًا بُشِّرَ به في التّوراة والإنجيل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٣].

لم تكن غاية الإنزال في سورة الصفّ البشارة بأحمد الكثير الحمد لربّه، بل حضّ الأنصار على الجهاد مع محمّد أو من خلال تزكية أموالهم في سبيل الجهاد ليكون لهم الخير بمغفرة خطاياهم. بالإضافة إلى ذلك فإنّ الغاية والهدف من تلك البشارة مناصرة الله لموازرة محمّد في فتح مكّة ليزيل الكفّار وأصنامهم من الكعبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[١٤].

لكن وبالرّغم من عدم تطرّق كُتُب العهد الجديد القانونيّة لهذه الواقعة، ينقلُ ابن هشام عن ابن اسحق أنّ

(٨) يو ١٩: ٣٦.
(٩) أع ٢: ١-٤.
(١٠) نولدكه ٢٠٠٤: ١٧٤.
(١١) سورة الصفّ: آية ٤.
(١٢) سورة الصفّ: الآيات ٥-٦.
(١٣) سورة الأعراف: آية ١٥٧.
(١٤) سورة الصفّ: آية ١٤.

تلك البشارة حدثت في إنجيل يوحنّا[١٥]، إذ كتب ذلك النصّ بأسلوبه الخاصّ[١٦] مستندًا إلى التّرجمة العربيّة للنسخة السُّريانيّة الفلسطينيّة للإنجيل العبرانيّ أو إنجيل النَّصارى، حيث كانت غاية ابن اسحق من الحقيقة الكتابيّة واللاهوتيّة التَّطابق مع القرآن وليس صحّة المخطوطات المسيحيّة اليونانيّة أو السُّريانيّة...[١٧]

أمّا غاية القرآن من بُشرى عيسى بأحمد، فكانت إثبات نبوّة محمّد أمام جماعة من يهود المدينة اعتُبروا من أهل النّفاق والرّيب، لأنّهم رفضوا القتال بجانب محمّد في معركة أُحُد[١٨]، لذلك أنزل الله عليهم تلك الآية من سورة الصّفّ، ليحضّهم على الجهاد مع محمّد بالقتال ودفع أموالهم. لأنَّهم جماعة مُلِمّة بالتَّوراة والإنجيل، فذكّرهم بموسى وعصيان أجدادهم له ومصيرهم نتيجة لذلك العصيان؛ فأعلن على لسان عيسى أنّ محمّدًا هو رسولٌ على غرار موسى وعيسى، وهو المكتوب في توراتهم وأنّ غزواته مقدَّسة، لذلك هو الرَّسول الذّي يتكلّم باسم الله.

أمَّا أصحاب التَّفاسير فكانت غايتهم محاججة المسيحيّين في القرنين الثّامن والتّاسع، فاستندوا إلى الإنجيل العبرانيّ أو النصرانيّ في نسخته السُّريانيّة الفلسطينيّة، لشرح نصّ من إنجيل يوحنَّا ذات اللّغة اليونانيّة، وذلك لإعطاء شرعيَّة رسوليَّة ونبويّة كتابيّة لمحمّد، والتَّأكيد على أنّه خَاتَم أنبياء العهد القديم والعهد الجديد.

أمام هذه المعطيات يبقى للشكّ أمل في تشويه ما تقدّم، لذلك يجب إظهار اليقين العلميّ لإعلان حقيقة البحث العلميّة من أجل إبراء النصارى من تحريف الإنجيل. وذلك استنادًا إلى الجماعات اليهوديّة والنصرانيّة التي عاشت في الجزيرة العربيّة قبل ولادة محمّد والتي عايشها محمّد وتاجر وتحالف معها، ومن ثمّ إنطلاقًا من الكتب الدينيّة الخاصّة بتلك الجماعات والتي أنزل الله قسمًا كبيرًا منها في القرآن.

٣- الجماعات اليهوديّة والنصرانيّة

عرفت الجزيرة العربيّة جماعات يهوديّة قبل المسيح بمئات السنين، ثمّ انضم إليهم قوم آخر بعد المسيح بمئة سنة. يرى بعض المؤرّخين اليهود أنّ يهود جزيرة العرب كانوا في معزل عن بقيّة أبناء دينهم، وأنّ اليهود الآخرين يرون أنّ يهود العربيّة مثلهم في العقيدة، بل رأوا فيهم أنّهم لم يكونوا يهودًا، لأنّهم لم يحافظوا على الشرائع الموسويّة ولم يخضعوا لأحكام التلمود. ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في أخبار المؤلّفين العبرانيّين[١٩].

كان يأتي بعض أحبار اليهود العرب من فلسطين، ولا سيّما من طبريّة التي اكتسبت شهرة عظيمة بعد خراب القدس حيث استقرّ فيها السنهدريم وغدت مركزًا للعلوم عند اليهود. كانت ثقافة العرب الدينيّة بشكل عامّ شفهيّة، أقلّه عند المتكلّمين العرب، كانت من المدراش وليست من النصوص القانونيّة. باستثناء الكتب الخاصّة بالليتورجيّا، فقد استُبدلت البيبليا بقصص بيبليّة موسّعة على ضوء الأجّداه والمدراش، خاصّة قصص الأنبياء وعيسى ومريم، الذين انتقلوا من اليهود إلى النصارى ثمّ استقروا في القرآن بتفسير محمّد الخاصّ[٢٠].

يظهر من بعض روايات الأخبار أنّ بعض أهل الجاهليّة

(١٥) راجع مقدّمة هذه المقالة.

(١٦) خلط ابن إسحق بين كلمة "المنحَمَنَّا" وكلمة "البرقليط" أو "الفرقليط".

(17) Griffith 1985: 131- 135.

(١٨) كنعان ١٩٩٧: ١٢٧.

(١٩) علي ١٩٧٠: ج ٦، ص ٥١٥.

(20) Peters 2005: 108.

كانوا قد اطّلعوا على التوراة والإنجيل، وأنّهم وقفوا على ترجمات عربيّة للكتابين، أو أنّ هذا الفريق كان قد عرّب بنفسه الكتابين كلاً أو بعضًا، ووقف على ما كان عند أهل الكتاب من كتب في الدين. ثمّ إنّ القصص أكثرها من التلمود والمشناه والكتب غير القانونيّة[٢١].

بالإضافة إلى اليهود، اعتنقت قبائل العرب الحُضر الديانة المسيحيّة، ثمّ كوّنوا كنيستهم السريانيّة الخاصّة في القرن الرابع ميلاديّ. أمّا عرب الصحراء البدو فكانوا بشكل عامّ مُشككين باليهوديّة والمسيحيّة، معتقدين أنّ هاتين الديانتين معقّدتَين بالنسبة إلى ديانتهم[٢٢]. يمثّل الدين البدويّ أوّل أشكال المعتقدات الساميّة وأبسطها وأكثرها سذاجة. ويرجع ما بينه وبين العقائد العبرانيّة القديمة المحفوظة في التوراة من وجوه الشبه العديدة إلى أنّ الدينين هما في جذر واحد[٢٣]؛ فكان البدو العرب في الحجاز ونجران شديدي الفخر بنفسهم، معتبرين أنّ إنهيار جيرانهم عرب الجنوب بالكارثيّ، متوقّعين وصول اليهوديّة والمسيحيّة إلى التعقيد، لذلك اتّجه عرب الشمال إلى اعتناق الهرطقات المسيحيّة[٢٤].

كوّن الغساسنة الدعائم الفعّالة الصلبة في الكنيسة المونوفيزيّة اليعقوبيّة، التي تجادلت مع الكنيسة الأورثوذكسيّة في العديد من المجامع المسكونيّة؛ فلمّا كان من مصلحة الغساسنة السياسيّة اعتناق النصرانيّة وهي دين البيزنطيين، اعتنقوها ولكن على المذهب المونوفيزيّ، مذهب الطبيعة الواحدة، وهو المذهب الوطنيّ في البلاد السوريّة[٢٥].

كان سكّان الحيرة الأصليّون نصارى من الكنيسة السريانيّة (السوريّة) الشرقيّة (سُمّيت النسطوريّة في ما بعد). يسمّيهم مصنّفو العرب "العُبَّاد" (أي عبّاد عيسى). وقام النصارى من سكّان جنوبيّ الفرات بدور المعلّمين للعرب الوثنيّين يعلّمونهم القراءة والكتابة والدين. ومن الحيرة سارت إلى الجزيرة نفسها مؤثّرات الحضارة. ويقول البعض إنّ الكنيسة السوريّة في الحيرة يرجع إليها الفضل في إدخال النصرانيّة إلى نجران. ومن الأخبار أنّ قريشًا إنّما أخذت الكتابة من الحيرة وأخذت الزندقة من الحيرة أيضًا[٢٦].

عُرِف من كُتُب تلك الجماعات النصرانيّة "الإنجيل العبرانيّ" الذي كُتب في النصف الأوّل من القرن الثاني ميلاديّ في مصر في اللغة اليونانيّة؛ يعتبره جيروم إنجيل متّى بصيغة يهوديّة–نصرانيّة، أمّا أبيفانوس فأعلنه خليطًا بين الإنجيل العبرانيّ والإنجيل الإبيونيّ[٢٧]. كان هذا الإنجيل خاصًّا بنصارى الجزيرة العربيّة ومكّة تحديدًا، كونه قد تُرجم إلى العربيّة على يد القسّ ورقة بن نوفل[٢٨]. تعتبر الكنيسة الكاثوليكيّة هذا الكتاب من ضمن سلسلة الكتب غير القانونيّة أو المحرّفة[٢٩].

يعتقد بعض الباحثين أنّ القرآن اتّخذ من مَتنِ هذا الإنجيل فكرة ألوهيّة مريم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾[٣٠]، حيث يسمّيها الروح القدس: "كانت أمّي (مريم)، الروح القدس، تأخذني بشعري وتحملني إلى جبل طابور

(٢١) علي ١٩٧٠: ج ٦، ص ٦٨٠– ٦٨١.

(22) Armestrong 2001: 55.

(٢٣) حتّي، جُرجي وجبّور ٢٠٠٢: ١٤٢.

(24) Armestrong 2001: 56.

(٢٥) حتّي، جُرجي وجبّور ٢٠٠٢: ١١٧.

(٢٦) حتّي، جُرجي وجبّور ٢٠٠٢: ١٢٠– ١٢٥.

(27) Bauer 1996: 51.

(٢٨) مسلم، صحيح مسلم: رقم ٢٥٢.

(29) Schneemelcher 2003: 171- 173.

(٣٠) سورة المائدة: آية ١١٦.

العظيم"[٣١]. جاء فيه أيضًا فكرة التبنّي على نهر الأردنّ: "عندما صعد (المسيح) من الماء، أفاض الروح القدس ينبوعه عليه وسكن فيه وقال له: يا بُنَيّ، لقد انتظرتك بين كلّ الأنبياء لكي تأتي وأستريح فيك. أنت مكان راحتي..."[٣٢]، وهذا ما يعكس فكرة رفع الله للمسيح إلى السماء قبل الصلب: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣٣].

زد على ذلك أنّ مكّة عرفت العديد من الفرق الدينيّة، خصوصًا فرقة "الإبيونيّة"، التي تُعْتَبَر جماعة من قدماء اليهود المتنصّرين، عُرفوا بهذه التسميّة العبرانيّة الأصل التي تعني "الفقراء". لا يعرف عن كيفيّة ظهورها ونشوء عقيدتها على وجه صحيح أكيد. وكلّ ما يمكن أن يقال عن معتقداتها إنّها مزيج من اليهوديّة والنصرانيّة؛ إنّها نصرانيّة بنيت على أساس ودعائم يهوديّة، فهي نصرانيّة ويهوديّة في وقت واحد[٣٤].

يعتقد الإبيونيّون "بوجود الله الواحد خالق الكون. ينكرون رأي بولس الرسول في المسيح (يعتبرون بولس عدوّهم، لأنّه يعتبر أنّ الإنسان يخلص بالإيمان وليس بالشريعة أو بالختان (رو ٣: ٢١–٢٣)، التي هي علامة العهد بالنسبة إليهم[٣٥]. يحافظون على حرمة السبت وحرمة يوم الربّ. يعتقد أكثرهم أنّ المسيح بَشَرٌ مثلنا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣٦]، امتاز عن غيره بالنبوّة، وبأنّه رسول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[٣٧]، أرسله إلى الناس أجمعين. وهو نبيّ كبقيّة من سبقه من الأنبياء المرسلين.

آمن البعض منهم بعقيدة العذراء وولادتها للمسيح من غير اتّصال ببشر: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٣٨]، غير أنّ بعضًا آخر منهم، آمن بأنّ المسيح ابن مريم من يوسف، فهو بشر تمامًا، وأنكر الصلب المعروف، وذهب إلى أنّ من صُلب لم يكن المسيح: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[٣٩]، وقد شبّه لمن صلبه، فظنّ أنّه المسيح حقًّا[٤٠].

عرفت مكّة أيضًا فرقة "الكسائيّة" نسبة إلى "ألكسائي"، عاشت في بلاد ما بين النهرين بين القرنين الثاني والرابع ميلاديّ[٤١]. تعلّم في المسيح أنّه بشر كسائر البشر، وأنّ المسيح فارق يسوع قبل استشهاده، وأنّ الروح القدس تارة "أمّ" المسيح، فهو بالتالي مؤنّث (سورة المائدة، آية ١١٦)، وطورًا هو الملاك جبرايل، فهو مذكّر. ويدّعي "ألكسائي" بأنّ ملاكًا دفع إليه بكتاب من السماء كان محفوظًا في لوح مقدّس نزّله عليه جبريل، وعلّمه أسرار الحكمة والغيب[٤٢].

بالإضافة إلى تلك الفرق، كتب فاضل الربيعيّ عن صراع مستميت في الجزيرة العربيّة بين النصرانيّة

(31) Schneemelcher 2003: 177.
(32) Schneemelcher 2003: 177.

(٣٣) سورة النساء: آية ١٥٨.

(34) Mimouni 1998: 88- 89, Danielou 1991: 88.
(35) Ehrman 2005: 101.

(٣٦) سورة آل عمران: آية ٥٩.
(٣٧) سورة الصف: آية ٦.
(٣٨) سورة آل عمران: آية ٤٥.
(٣٩) سورة النساء: آية ١٥٧.

(40) Ehrman 2005: 100- 001.
(41) Mimouni 1998: 88.
(42) Danielou 1991: 97.

والمسيحيّة قبل ولادة محمّد وبعثته النبويّة، حيث دافعت النصرانيّة عن نبيّها عيسى بن مريم أمام التيّار المسيحيّ القادم إلى الجزيرة العربيّة، والذي يريد استبدال دين عيسى بن مريم بدين يسوع المسيح ابن الله[٤٣]. هذا ما جعل العامّة من الناس على مماثلة النصرانيّة مع المسيحيّة، حتّى أصبحت كلمة "نصرانيّ" دالّة على "المسيحيّ" بإطلاق. غير أنّ روايات الإخباريّين العرب عن "نصرانيّة" بعض القبائل في الجزيرة العربيّة واليمن والعراق والشام، لا تدلّ لا من قريب ولا من بعيد على أنّ المقصود منها الإشارة إلى "المسيحيّة" كما نعرفها اليوم؛ بل قُصِدَ بها الإشارة إلى دين عربيّ قديم هو "النصرانيّة"، إذ بدت المسيحيّة للعرب نوعًا من "هرطقة"، الذين ظلّوا متمسّكين بروايتهم عن دين عيسى بن مريم الذي لم يُصلب ولم يكن ربًّا[٤٤].

محصلة

نستنتج ممّا تقدّم أنّ الجزيرة العربيّة قبل محمّد وفي أيّامه، لم تعرف المسيحيّة التي تؤمن بيسوع المسيح ابن الله المتجسّد في ملء الزمن، الذي صلب على عهد بيلاطس البنطيّ، والذي قام من بين الأموات، بل سكنها نصارى يعبدون عيسى بن مريم، ينكرون بنوّته لله وحادثة الصلب التاريخيّة، ويعتقد البعض منهم بألوهيّة مريم. زد على ذلك أنّ هؤلاء النصارى كانوا في صراع مستميت بوجه المسيحيّة التي تريد استبدال اسم عيسى بيسوع وتريده إلهًا مصلوبًا لا إنسانًا نبيًّا.

نتيجةً لهذا الصراع لا بدّ من أن تكون أناجيل المسيحيّة محرّمة في تلك الحقبة من الزمن، ومرفوضة من جماعات النصارى الذين اعتبروا هراطقة من قبل الكنيسة الجامعة الرسوليّة. لهذا السبب لم يذكر وجودها أيّ باحث في تاريخ الجزيرة العربيّة، ولم يجد أثرًا لها أيّ مستشرق أمضى حياته في التنقيب عن العلاقة بين المسيحيّة والإسلام في لحظة انبعاثه.

إذا عدنا إلى أسباب التنزيل القرآنيّ مصدر الدين الإسلاميّ، لا نجد أيّ علاقةٍ بين محمّد وجماعات مسيحيّة بل جدالات مع نصارى كانوا على عداءٍ مع اليهود، وخصوصًا أمام النجاشي ونصارى نجران. زد على ذلك أنّ السيرة النبويّة تتكلّم عن رهبان نصارى مثل القسّ ورقة بن نوفل والراهب بحيرة والراهب نسطورس، كانوا ينتظرون ظهور النبيّ العربيّ الأمّيّ المرسل من قبل الله للعرب الأمّيّين، المذكور في كتبهم والذي حان زمانه، وكانت لهم الشهادة الحاسمة أمام المسلمين بأنّ محمّد رسول الله وخاتم الأنبياء، أيّ لم يكونوا مسيحيّين آمنوا بالتجسّد الإلهيّ الذي حقّق كتب العهد القديم وخاتم الأنبياء. لكنّ أهل التفاسير القرآنيّة حين تجادلوا مع المسيحيّين أثناء الفتح الإسلاميّ، فسّروا جدالات محمّد مع النصارى بكتُب المسيحيّين ليحضّوهم على اعتناق الإسلام دينًا انطلاقًا من أنّ عيسى بشّرَ بمحمّد نبيًّا من بعده.

في النهاية نقول للمسيحيّين إنّ الكنيسة الجامعة بكلّ عائلاتها لديها أناجيل أربعة قانونيّة هي: متّى، مرقس، لوقا ويوحنّا، ولا تعترف بأيّ كتاب آخر سُمّي إنجيلاً. أما للإسلام فنقول أنّ المسيحيّة لم تحرّف الإنجيل، وهي تؤمن بيسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي أرسل لها روحه القدّوس بعد صعوده إلى ملكوته السماويّ ليقدّسها ويرفعها نقيّةً عروسًا إلى الآب السماويّ. زد على ذلك أنّ نصارى تلك الحقبة ليسوا بمسيحيّي الأمس أو اليوم، كانت لهم أناجيلهم الخاصّة بهم، تشبه قصصها تلك المنزلة في القرآن، لكنّها لا تمتّ إلى قصص يسوع المسيح بصلة.

أما أخيرًا لم تكن الكنيسة بحاجة إلى تحريف الإنجيل لتدافع عن إيمانها بيسوع، لأنّه قال لها: "فالآبُ نَفسُهُ يُحِبُّكُم، لأنَّكم أنتم أَحبَبتُموني، وآمنتُم أَنّي مِنَ اللهِ خَرجْت" (يو ١٦: ٢٧).

(٤٣) الربيعيّ ٢٠٠٩: ١٣.

(٤٤) الربيعيّ ٢٠٠٩: ١٠٢.

المراجع

ابن كثير، تفسير ابن كثير = **ابن كثير** إسماعيل عماد الدين أبي الفداء بن عُمَر، ٢٠٠٧. تفسير ابن كثير، ط جديدة، بيروت: الكتاب العالميّ للنشر.

ابن هشام، السيرة النبويّة = **سقّا (ال)** مصطفى، **الأبياري** إبراهيم و**شبلي** عبد الحفيظ (تحقيق وضبط وشرح)، ٢٠٠٤. السّيرة النبويّة لابن هشام، بيروت: دار الكتب العلميّة.

باشا حبيب (متروبوليت)، وآخرون (تعريب)، ١٩٩٩. التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، جونيه: المكتبة البولسيّة.

حتّي فيليب، **جُرجي** إدوار، و**جبّور** جبرائيل، ٢٠٠٢. تاريخ العرب، ط حادية عشرة، بيروت: دار الكشّاف.

ربيعي (ال) فاضل، ٢٠٠٩. المسيح العربيّ، النصرانيّة في الجزيرة العربيّة والصراع البيزنطيّ– الفارسيّ، بيروت: رياض الريّس للكتب والنشر.

علي جواد، ١٩٧٠. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، بيروت: دار العلم للملايين.

كنعان محمّد بن أحمد، ١٩٩٧. المغازي النبويّة، خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت: مؤسّسة المعارف للطباعة والنشر.

مُسلم، صحيح مُسلم = **مُسلم** أبي الحسين بن الحجّاج، ٢٠٠٦. صحيح مُسلم، ط رابعة، بيروت: دار الكتب العلميّة.

منصور يوحنّا (مطران)، و**الفاخوري** حنّا (ترجمة)، ٢٠٠١. دنتسنغر– هونرمان، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ط أولى، جونيه: المكتبة البولسيّة.

نولدكه تيودور، ٢٠٠٤. تاريخ القرآن، ط أولى، بيروت: كونراد– أدناور.

ARMESTRONG Karen, 2001. *Muhammad a Biography of the Prophet*, London: Phoenix Press.

BAUER Walter,1996. *Orthodoxy and Heresy in Earliest Christianity*, Philadelphia: Sigler Press.

DANIELOU Jean, 1991. *Théologie du Judéo-Christianisme*, Paris: Desclée/ Cerf.

EHRMAN Bart D, 2005. *Lost Christianities*, Oxford: University Press.

GRIFFITH Sidney, 1985. *The Gospel in Arabic: An Inquiry into its Appearance in the First Abbassid Century*, Oriens Christianus, 69.

MIMOUNI Simon Claude, 1998. *Le Judéo-Christianisme ancient*, essais historique, Paris: Cerf.

PETERS F. E. 2005. *Islam. A Guide for Jews and Christians*, New Jersey: Princeton University Press.

SCHNEEMELCHER Wilhelm (ed), 2003. *New Testament Apocrypha*, Westminster: John Knox Press.

بولس وتأسيس المسيحيّة في رأي المسلمين

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

يدّعي الكثير من المسلمين أنّ المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة هو بولس الرسول[١]، كما يدّعون أيضًا أنّ التعاليم التي ألقاها السيّد المسيح لا علاقة لها بتعاليم بولس، وأنّ بولس الرسول قد حرّف المسيحيّة[٢] وغيّر فيها بسبب تأثّره بالوثنيّة، وكان هو السبب في نشر المسيحيّة الحاليّة، الخ؛ ويعتقد الشيء ذاته كتّاب وباحثون مسلمون، أمثال د. أحمد شلبي[٣]، وغير مسلمين، أمثال اللاهوتي الألمانيّ فرديناند كريستيان باور[٤]، وولِز الذي يقول: "إن كثيرًا من الثقات العصريّين يعدّونه المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة"[٥]. لكن ما يهمّنا الآن هو آراء عدد من المسلمين في هذا الموضوع.

إنّ القول بأنّ بولس هو المؤسّس الحقيقي للمسيحيّة هو طرحٌ قديمٌ جدًّا، الغرض منه هو الإقناع بأنّ المسيحيّة هي دِيانة لا علاقة بها بتبشير الربّ يسوع المسيح وبتعاليمه، وأنّ مَن وضع أسسها وأطلقها هو شاول–بولس. هذا ما ادّعاه الكثيرون، في العالمَين اليهوديّ والإسلاميّ، وحتّى في ما بين المسيحيّين. لقد علّق البابا بنديكتوس السادس عشر على هذا الأمر قائلاً:

"إن الأهمّيّة التي يوليها بولس لتقليد الكنيسة الحيّ، الذي كان ينقله إلى جماعاته، تدلّ كم كانت مخطئًا رأيُ مَن ينسب إلى بولس اختراعَ المسيحية؛ فقبل أن يكرز بيسوع المسيح سيّده، كان قد التقاه على طريق دمشق، وتعرّف إليه من خلال الكنيسة، مراقبًا حياته في الاثني عشر وفي أولئك الذين تبعوه على طرقات الجليل"[٦].

---

(١) نذكر على سبيل المثال: محمّد علي برّو العامليّ، **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م؛ أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

(٢) أنظر، مثلاً، عبد الجبّار، **تثبيت دلائل النبوّة**، المحرّر سنة ٩٩٥.

(٣) رج أحمد شلبي، **سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان**، الجزء الثاني: **المسيحيّة**، ط ١٠، ١٩٩٨م، ص ٩٣؛ محمّد إبراهيم كركور، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**، الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦..

(٤) في سنة ١٨٣١ عرض اللاهوتي الألمانيّ فرديناند كريستيان باور موضوع التناقض بين يسوع وبولس لأوّل مرّة في مقال نشره في **مجلّة تُوبنغن للاهوت**:

Ferdinand Christian Baur, « Die Christuspartei in der Korinthischen Gemeinde, der Gegensatz des petrinischen und paulinichen Christenthums in des ältesten Kirche, der Apostel Paulus in Rom », *Tübinger Zeitschrift für Theologie* 4 (1831) 61-206.

(5) Wells, *Outline of History*, NY: Macmillan, [3]1921, vol. 3, p. 695.

(٦) البابا بنديكتوس السادس عشر، المقابلة العامّة في ساحة مار بطرس، ٢٤ أيلول ٢٠٠٨.

لكن لنعرض بدايةً وبالإيجاز ما يقوله اليهود حول دور بولس في تأسيس الكنيسة، قولٌ يتوافق المسلمون فيه معهم، ولو كان الهدف ليس واحدًا بالمطلق.

١ – توافق اليهود والمسلمين على اعتبار بولس مؤسِّسَ المسيحيّة

قبل معالجة مسألة قول **المسلمين** بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة، لا بدّ من أن نشير إلى أنّ لدى **اليهود** مواقف قد تكون مشابهة جدًّا.

– فاليهود يشدّدون وبإلحاح على أنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة. بالنسبة إلى دايفِد فْلوسّر، وهو أستاذ في الجامعة العبريّ في أورشليم–القدس، مثلاً، لم يشأ يسوع أن يؤسّس ديانةً جديدة، ولا حتّى جماعة جديدة، بل الدفع باتّجاه تحريك الوعي[٧]. كذلك شَلُوم بِن حورين خصّص مؤلَّفًا لمن يدعوه "الأخ يسوع"[٨]. في هذه الحالة، لماذا الحركة المسيحيّة انفصلت بسرعة عن اليهوديّة ولم تبقَ حزبًا، أو شيعة مسيحانيّة بين غيرها من الأحزاب أو الشيع؟ بنظر بن حورين، المذنب في ذلك هو معروف: إنّه بولس الرسول. بالموازاة، يؤكّد **المسلمون**، وبإلحاح مماثل لإلحاح اليهود، على أنّ يسوع ليس هو مَن أسّس المسيحيّة بل بولس، كما سنرى أدناه.

– ويدّعي **الإسلام** أنّه يعرف يسوع أكثر من الجميع وأفضل منهم، لأنّ القرآن الذي يتكلّم عليه، هو، في نظر المسلمين، نازل مباشرةً من عند الله. ويدّعي **اليهود** الأمر عينه، لأنّ يسوع كان يهوديًّا.

هكذا يبني كلُّ واحدٍ منهم يَسُوعَه؛ فأحيانًا هو بمنزلة **رابّي** شبيهٍ بالرابّينيّين الذين كانوا في أيّامه، والذين تشهد عليهم **مِشْنَه التلمود**، وأحيانًا أخرى **نبيًّا مسلمًا** حسّاسًا جدًّا تجاه الفقراء ومتضامنًا معه إلى أقصى حدّ، يُدْرَجُ في الخطّ النبويّ ومن جهة محمَّد.

في ظَنِّ البعض، قد يكون بولس هو مَن استنبطَ قيامةَ يسوع، وألوهتَه، والثالوثَ، والخلاصَ الشامل، ووساطةَ المسيح الوحيدةَ بين الله والبشر، والأسرارَ؛ بالنتيجة، قد يكون بولس هو مَن خلقَ العقيدةَ المسيحيّةَ والكنيسةَ[٩]: ديانة جديدة قد لا يكون يسوعُ الحقيقيُّ، يهوديًّا كان أمْ مُسلمًا، قد أسّسها ولا أرادها.

لكنّ **الإسلام** يؤكّد على أمومة مريم العُذْريّة[١٠]، وارتفاع المسيح إلى السماء (لم يُصْلَب)، دون التعرُّض لبولس حول هاتين النقطتَين. و**اليهوديّة** تؤمن بانتخاب شعب فريد في التاريخ البشريّ مع عهد محدّد، دون تدخّل بولس. كلُّ واحدٍ، كما نرى، يُبقي له فناءً خَلْفِيًّا للأمور التي يصعب تصديقها.

في الحقيقة، لم يَبْنِ أيُّ مؤسِّسِ ديانة بُنْيَاتِه، ومؤسّساتِه، وطاقمَه، وعقيدتَه الموسَّعة، وعبادتَه، جملةً وتفصيلاً وبصورة قاطعة. لم يضع المؤسِّسون سوى الأُسُس، ولكنّهم هم المبادرون والبادئون.

هذا الأمر ليس خاصًّا بيسوع؛ لذا نحن نتساءل:

– هل انفصل بولس عن يسوع ليصنع منه أسطورة لا تُصَدَّق، عِلْمًا أنّها مقبولة من الكثيرين؟

– هل يمكن وضع بولس مقابل يسوع؟ وأيّ يسوع: اليهوديّ، أم المسلم، أم المسيحيّ؟

(7) Cf. David Flusser, *Jésus*, Paris: Seuil, 1970.

(8) Cf. S. Ben-Chorin, *Bruder Jesus*, München: Paul List, 1967. Cf. H. Maccoby, *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986; H. Graetz, *Geschichte der Juden von den ältesten Zeiten bis zur Gegenwart*, 11 vol., Leipzig, 1853-1870, cité par D. Hagner, *op. cit.* , 144-145..

(٩) محمّد علي برّو العامليّ، **المرجع ذاته**، ص ٣١٧ي.

(١٠) محمّد علي برّو العامليّ، **المرجع ذاته**، ص ٤٣٨ي؛ أنظر أيضًا ص ٣٨٩ي.

إذا أعرضنا عن نصوص المسيحيّين وتقاليدهم، ينبغي أن نُقِرَّ أنّه لا **اليهوديّة** ولا **الإسلام** قادرَان على أن يقولاَ الكثير على يسوع، ولا أن يُعطِيَا عنه شهادة دقيقة بما فيه الكفاية؛ فالمسيح نعرفه بواسطة المسيحيّين وكتبهم المقدّسة، وما حقّقه النقد الحديث، بالرغم من التلمّسات الضروريّة، لم يكذّب صحّةَ النصوص، لكنّه يُتيح المجال لفهمٍ أفضل لهذا الإرث الحيّ منذ ألفَي سنة.

٢ – بولس مؤسِّس المسيحيّة: كيف يبرهنه البعض؟

سنعرض في ما يلي آراء بعض الكتّاب المسلمين وغيرهم حول اعتبارهم بولس المؤسِّس **الحقيقيّ** للمسيحيّة وللكنيسة:

٢/١ – شريف محمّد هاشم

وضع شريف محمّد هاشم مؤلّفه، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**[١١]، ليردّ به ومن خلاله على كتاب أبو موسى الحريريّ، **قسٌّ ونبيّ**[١٢]. هو يرى أنّه "في رسائل بولس يكمن سرّ المرض المسيحيّ العضال، وإليها تعود مشاكل المسيحيّة المستعصية"[١٣]. ويضيف: "إنّ الثمن الأكبر الذي دفعته المسيحيّة، بسبب إيمانها بمبادئ بولس، كان طلاقها النهائيّ للتوحيد...، واستبداله بتوحيد معقّد مركّب، هو في الواقع شِرْكٌ مبطّن، لا يغطّيه إلاّ رداء شفّافٌ فاضح من التوحيد... ولم يلجأ المسيحيّون إلى رسائل بولس، إلاّ عندما أخذ العقل المسيحيّ يضطرب بمئات من عقائد البدع، وبعد أن تكاثرت الأناجيل... عندها لجأ المسيحيّون إلى بولس... أضحت رسائله... إطارًا لمجموعة من العقائد... ترك بولس للمسيحيّة أربع عشرة رسالة، أرست نظريّات جديدة للكنيسة... لتصبح قاعدة الإيمان المسيحيّ ومنطلَقَه..."[١٤].

يُبرز هاشم **ما أدرجه بولس من عقائد في كلٍّ من رسائله**، التي أضحت بعد ردحٍ من الزمن قاعدةَ الإيمان المسيحيّ ومنطلقَه، نوردها كما جاءت في المؤلَّف الذي نحن بصدده، وهي توجز ما يكرّره العديد من المسلمين في هذا السياق:

– "**رسالة بولس إلى أهل رومة**، فيها وضع بولس أهمّ المداميك في بنيان نظريّاته حول المسيح، معلنًا أنّ **للمسيح طبيعتيَين، طبيعة إنسانيّة وطبيعة إلهيّة**. وفيها نادى بولس بنظريّة **التجسّد والصلب والقيامة**... وفي الرسالة عينها ساوى بولس بالخطيئة بين اليهود والوثنيّين، وفيها طعن بأوّل وأهمّ مبادئ الناموس اليهوديّ، وهو الختان، معتبرًا أنّ الختان هو ختان القلب، وليس ختان الجسد، وفيها أعلن أنّ **الخلاص هو بالإيمان بالمسيح**، وليس بالأعمال وفق الناموس اليهوديّ. وفيها أيضًا كشف بولس بصراحة ووضوح عن نظريّته القائلة بأنّ **عيسى هو ابن الله**، وأنّه **تجسّد وصار إنسانًا مثلنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة**.

– في **رسالته الثانية إلى قورنتوس** أضاف: "مبارك الله أبو ربّنا يسوع المسيح"، حيث أدخل بولس **أبوّة الله للمسيح**، أو **بنوّة المسيح لله**...

– في **رسالته إلى غلاطية**... أعلن بولس بشكل حادّ **بطلان شريعة موسى**...: "شريعة موسى كالمؤدّب... أمّا وقد جاء المسيح، فلا حاجة إلى المؤدّب، ولذلك بطلت الشريعة وزالت" (غل ١: ١٩–٢٠)...، بينما المسيح أعلن بصراحة وحزم: "لا تظنّوا أنّي جئتُ لأبطل الشريعة والأنبياء..." (مت ٥: ١٧...). المسيح

(١١) شريف محمّد هاشم، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.
(١٢) أبو موسى الحريريّ، **قسٌّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام**، ١٩٧٩.
(١٣) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٢٢٣.
(١٤) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٢٢٦–٢٢٧.

يوصي بأن لا يزول حرف أو نقطة من الشريعة، فيما يعلن بولس بطلان الشريعة بكاملها.

– في **رسالته إلى أهل قولوسّي** يقول بولس: "... حيث المسيح جالس عن يمين الله". بهذه الرسالة **رفع بولس المسيح إلى مرتبة الألوهيّة**....

– لم يأت بولس بذكر **للروح القدس** بمعنى **كونه أقنومًا إلهيًّا ثالثًا** إلاّ في **رسالته إلى أفسس**... وفي **رسالته إلى أهل روما**... **أعلن اكتشافه الأقنومين الأوّلَين، الإله الآب، والإله الابن.**

– أمّا في **رسالته إلى أهل فيلبّي**، فإنّ بولس يطالعنا بأمر خطير، عندما يعلن **المساواة المطلقة بين المسيح وبين الله**، لا بل في ما نقله بولس لنا، يبدو المسيح زاهدًا بهذه المساواة وغير متحمّس لها (فيل ٢: ٦، ٧، ٨).

– في **رسالة بولس إلى أهل قولسّي**، نستطيع التأكيد أنّ **المسيح لم يَعُد الابن الوحيد، ولا المصلوب بأمر الله الآب، وإنّما الله بالتمام والكمال**، بعد أن **أسبغ عليه بولس كلّ ما يقال لله** ولله وحده (رج قول ١: ١٥).

– في **رسالة بولس إلى طيموتاوس** موقف متجنٍّ من المرأة إذ يتّهمها أنّها "هي وليس آدم سبب الغواية والمعصية... وفي هذه الرسالة عودة من القدّيس بولس إلى **موضوع الرقّ**، حيث نجد **لمؤسّس المسيحيّة الحاليّة**، من هذا الموضوع الإنسانيّ الدقيق، موقفًا غريبًا...؛ فهو **يوصي العبيد بتعظيم أسيادهم، ومضاعفة خدمتهم لهم.** والأدهى من ذلك، أنّ بولس يعتبر هذا الموقف من صلب العقيدة المسيحيّة... (١ طيم ٦: ١).

– في **رسالته إلى أهل أفسّس** اعتبر **أنّ طاعة العبد لسيّده واجبة** ومساوية لطاعة العبد للمسيح نفسه (أف ٦: ٥).

– وفي **رسالته إلى العبرانيّين** يركّز بولس **المسيح عن يمين الله**، وينقل لنا محادثة جرت بين الله وابنه الوحيد ("قال له الله يومًا: أنتَ ابني..."). في الرسالة عينها قال: "الله، بعدما كلّم الآباء بالأنبياء...، من فضل على أسمائهم"؛ **فالمسيح** بحسب هذه الرسالة قد **تدرّج من يسوع إلى ابن الربّ**، إلى إعلان سعادة الربّ بأبوّته له، إلى وارث كلّ شيء، إلى خالق العالمين، إلى بهاء مجد الله ورسم جوهره، إلى مطهّر الخطايا، وأخيرًا إلى **جالس في الأعالي إلى يمين الله** مفضّلاً على الملائكة؛ فمن **الرسالة إلى العبرانيّين** وما سبقها من رسائل، **دخل المسيح إلى الله**، وهو الأمر الخطير الذي **نسف كلّ الجسور بين المسيحيّة والتوحيد**، وجعلها تتوه وتضيع في متاهات جدليّة فلسفيّة.

بالإضافة إلى **غرابة نظريّات بولس حول الله و"ابنه الوحيد" وسواها**، نلاحظ أوّلاً أنّه **لم يأتِ في كلّ رسائله بذكر لمريم أُمّ المسيح.**

نرى المسيحيّين يعبدون في الواقع المسيح، أو "الله الابن"، بعدما طمست صورته الإلهيّة في أذهانهم ومخيّلتهم صورة "الله الآب.

إنّ اسم المسيحيّة والمسيحيّين، لا النصرانيّة والنصارى، هو الذي تداوله بولس في كلّ رسائله، وهذا يعزّز اعتقادنا بأنّ **طغيان اسم المسيحيّة على النصرانيّة كان بتأثير طغيان أفكار بولس...**، وأنّ **اسم المسيحيّة والمسيحيّين قد شاع بعدما صارت أفكار بولس في نيقية أساس الديانة المسيحيّة.**

غياب أيّ ذكر للعجائب والخوارق والمعجزات من رسائل بولس... هو مستغرب.

اعتماد نظريّات بولس قاعدة للإيمان المسيحيّ كان بمثابة **انتصار لبولس على حساب كلّ الأناجيل الأخرى**، وطعنة نجلاء في كبد الحقيقة، والعقل، والمنطق.

نظريّة التثليث، مبادئ جعلت للشرك فلسفة وتعليلاً ولإلغاء وحدانيّة الله فدلكة وتبريرًا.

هل كانت رسائل بولس حقيقة تاريخيّة لا شكّ حولها؟ أم أنّها دخلت هي الأخرى دائرة الشكّ والاتهام، أسوة بكلّ مصادر الإيمان المسيحيّ؟

الحقيقة المرّة تقضي بأن نذكر بأنّ حقيقة هذه الرسائل التاريخيّة لم تسلم من الشكّ والارتياب، إن لم يكن كلّها فبعضها على الأقلّ"[١٥].

ممّا تقدّم نستنتج أنّ ما أوجزناه من آراء محمّد

شريف هاشم يتكرّر أيضًا عند آخَرين من أمثاله، سابقين له ولاحقين[١٦].

٢/٢ – أحمد زكي الأردنيّ

يرى أحمد زكي[١٧] في شاول "**ألدّ أعداءِ المسيح**"[١٨]، ويعتبره **مؤسّسَ الكنيسة**، وليس المسيح، الذي لا علاقة له بها. ويوجز جوزف قزّي مضمون موقف أحمد زكيّ هذا كما يلي: "**شاؤول هو الذي أسّس الكنيسة، لا المسيح**؛ ولا علاقة للمسيح بالكنيسة، بل لم يعرفها، ولم يستعمل حتّى لفظها. ولقد أسّس شاؤول هذا الكنيسةَ ليقضيَ على المسيح وعلى المسيحيّة والإنجيل معًا، ويعودَ بعدئذٍ إلى صفاء اليهوديّة... وكان له هذا عندما علّم معتقدات هي أقرب إلى الطلاسم والأوهام منه إلى الحقائق والمقدّسات. **شاؤول هو الذي حدّد المعتقدات المسيحيّة** التي لا تخضع لأيّ منطق. وهو الذي قال بـ ثلاثة تساوي واحدًا، وبـ واحد يساوي ثلاثة. وقال بالمعموديّة لمغفرة الخطايا، وبالصلب، والقيامة، والكفّارة، والفداء، والخطيئة الأصليّة، وغيرها؛ فأبعدَ الأممَ عن الله الواحد، وعن القول بـ "لا إله إلاّ الله" الذي هو مفتاح الجنّة، التي منعهم عنها، ليتركها خاصّة لليهود وحدهم"[١٩].

إنّ الغاية التي يسعى أحمد زكي إليها هو أن "يظهِر لنا المسيح الحقيقيّ"[٢٠] الذي غلّفه شاول بقناعٍ نجح به في تشويه صورة المسيح.

وفي مكان آخَر يورد زكي استشهاد مت ١٠ : ٥ بقول يسوع لتلاميذه، "إلى طريق الأمم لا تمضوا"، ليستنتج ما يلي: "هذا يفيد بأنّ رسالته ليست عالميّة، إنّما محدودة ببني إسرائيل فقط... وليس كمحمّد الذي أرسله الله للناس كافّةً... لكنّ شاؤول، ألدّ أعداء المسيح، هو الذي ضرب عرض الحائط بأوامر المسيح، فخرج إلى طريق الأمم، **وفَبْرَكَ لهم دينًا على حساب المسيح...**"[٢١]، لكنّ زكي تغافل عن قول يسوع لتلاميذه: "تكونون شهودي في أورشليم، وفي كلّ اليهوديّة، والسامرة، وحتّى أقاصي الأرض" (أع ١ : ٨)!

ويعلن زكي أنّ المسيح، بنظر بولس، قد جاء ليرمّم **الشريعة** ويحييها، لكنّ هذه الأخيرة، وتحديدًا بعد مجيء المسيح، أصبحت **عاجزة** (رج رو ٣: ١٠–١٨)، لا بل **مضرّة**، "لأنّها تنشئ الغضب" (رو ٤ : ١٥)، وقد "اندسّت لكي تكثر الزلّة" (رو ٥ : ٢٠)، لذلك أكّد القدّيس بولس لقرّائه "أنّهم ليسوا في قيد الشريعة بل في قيد النعمة" (رو ٦ : ١٤). في نظر بولس، لقد دعانا المسيح إلى الحرّيّة (غل ٥ : ١، ١٣)، وقد كنّا من قبل مستعبَدين للخطيئة (رو ٦ : ١٨–٢٢)، وللشريعة (رو ٦ : ١٤؛ ٨ : ٢؛ غل ٣ : ١٣؛ ٤ : ٥؛ رو ٧ : ١)...

---

(١٥) شريف محمّد هاشم، **المرجع ذاته**، ص ٣٢٣–٣٤٢.

أنظر، مثلاً، محمّد إبراهيم كركور، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**، الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦.

(١٦) أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

(١٧) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٤٦٩.

(١٨) جوزف قزّي، **نزعنا القناع**، نِسْبِيْه ١٩٩٧، لبنان، ص ٨٧.

(١٩) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٢١٣.

(٢٠) أحمد زكي، **المرجع ذاته**، ص ٤٦٩.

(21) El Hassan Ben Talal, *Islam et Christianisme*, Brepols, 1997, p. 38, 45, 57-58

يشاطر عدد لا بأس به من الكتّاب والمنظّرين المسلمين أحمد زكي آراءه، وهم على قناعة بأنّ بولس قد شوّه رسالة المسيح وضربها في العمق لكي يفرض مسيحيّةً تناسبه وعلى هواه.

٣/٢ – الأمير حسن بن طلال الهاشميّ الأردنيّ

يؤكّد الأمير حسن بن طلال الأردنيّ، في ما يتعلّق بالقدّيس بولس، ما يلي:

"إنّ **الأناجيل الأربعة**، التي دُوِّنَتْ ما بين العامين ٧٠ و١٠٠ ب. م.، قد **تأثّرت بوضوح بتعاليمه** (أي مار بولس)، على درجات متفاوتة... إنّ المسيحيّة التي هَيْمَنَتْ لتصبح ديانةً كونيّة، لم تكن مسيحيّةَ النصارى، بل تلك التي تأسّستْ على الأناجيل وكتابات العهد الجديد الأخرى، على الأخصّ رسائل بولس... لقد استقبل وجهاء أورشليم، يعقوب، والصفا (بطرس)، ويوحنّا، بولسَ ورفيقَه برنابا، فلم يضيفوا شيئًا على الإنجيل الذي عرضه بولس عليهم... من دون شكّ، **هو بولس مَن أعطى للكهنوت نظامه الأساسيّ** التقليديّ، الذي منه سيتوسّع الكهنوت المسيحيّ... **بولس** لم يكن فقط **في أصل شكل المسيحيّة** التي بقيت على قيد الحياة لتصبح ديانةً عالميّة، بل أيضًا **مؤسّس الكنيسة** بصفتها مؤسّسة منظَّمَة جيّدًا، لها سلطة هرميّة مفصّلة، تأتي سلطتها الرسوليّة من وضع الأيدي أو من "السيامة"[٢٢].

في آخِر الكتاب، يعرض حسن بن طلال، في جدولٍ، "الكنائسَ والطوائفَ المسيحيّة الرئيسيّة"، ويرى أنّ **مجموع هذه الكنائس وهذه الطوائف يتحدّر من "التعليم البولُسيّ"**، لكن وحده خَطٌّ صغير دون نسل، هو "**الكنائس اليهو–مسيحيّة**"، نشأ من تعليم الناصريّ. هذه **الكنائس اليهو–مسيحيّة تُعْتَبَر أمينةً لعيسى المسلم** الذي سيتكلّم عليه القرآن لاحقًا، والذي يعترف به المسلمون.

٤/٢ – تَجَمُّعُ "الحقيقة للجميع" التركيّ في فرنسا

وثّقتْ الكاتبة أنّي لوران في مقال لها ما قام به تَجَمُّعٌ تركيّ يُدعَى "الحقيقة للجميع"[٢٣]، الذي يسير على المنوال الإسلاميّ المتشدّد، ومقرُّه في مدينة كْرِايْ (Creil) الفرنسيّة، حيث انفجرت مسألة الحجاب سنة ١٩٨٩؛ فلقد أثار التجمُّعُ المذكور حفيظةَ الرعايا الكاثوليكيّة في فرنسا خلال صيف ٢٠٠٥ عندما أرسَلَ إلى هذه الرعايا مطويّةً يدعوها فيها صراحةً إلى نبذ المسيحيّة واعتناق الإسلام، وفيها "**يهاجم القدّيسَ بولسَ، رابّي روما**" (كذا)، الذي يصفه بأنّه **المزوِّر الرئيسيّ**، إذ إنّه "**أدخل في المسيحيّة عقيدة الثالوث، ونَسَبَ الألوهة إلى النبيّ يسوع**"[٢٤].

نشير إلى أنّ **اليهود** هم مع هذا الطرح الملائم لهم، لكن بطريقة أكثر جدليّة، ومستفيضة، ومتحاملة.

٥/٢ – إميليو بْلَتّي (Platti)

يؤكّد بْلَتّي[٢٥]، الأخصّائيّ في الإسلاميّات، ما يلي:

"يتّهم التقليدُ الإسلاميُّ المتأخّرُ القدّيسَ **بولسَ بأنّه تصوّرَ إعادةَ تفسيرٍ للإنجيل**، مشوِّهًا هكذا المعنى الأصليّ

(22) « La vérité pour tous », Creil, France.
يعرّف الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بـ"الحقيقة للجميع"، بهذا التجمُّع التركيّ في كْرَايْ، فرنسا، فيقول بأنّه يهدف إلى تعريف الناس حقيقة الإسلام، وإزالة القناع الذي يغلّف الوجه الحقيقيّ الإسلام، من ثَمَّ إفهام الناس ذهنيّةَ ديانةٍ تدفع هؤلاء إلى الخير (http://www.net1901.org/association).

(23) Annie Laurent, « L'offensive de Creil », in *L'Homme Nouveau*, no 1351, 4 septembre 2005.

(24) Emilio Platti, *Islam...étrange?*, Cerf, 2000.

(25) Emilio Platti, *op. cit.*, p. 171-172.

لرسالة يسوع عن طريق إخلاء المظهرِ الأساسيّ لِسُنّةِ الله، أي "**الشريعة**"، من رسالته"[٢٦]. نجد من جديد موضوع التهمة الموجَّهَةَ إلى المسيحيّين بأنّهم **حرّفوا الكتب المقدّسة**، كما أيضًا إلى اليهود بأنّهم **حرّفوا التوراة**. في هذا السياق، **قد يكون بولسُ بنظرهم المحرّفَ الكبيرَ**. هذا الرأي كان قد وسَّعَهُ بنوع خاصّ **عبد الجبّار**، وهو أحد المعتزلة، في أواخر القرن العاشر[٢٧].

إنّ بَلْوَرَةً بشريّةً وبشكلٍ جوهريّ، تفيد في تصويرٍ مسبقٍ لنصٍّ يشتهر جوهريًّا بأنّه إلهيّ، وُضِع بشكلٍ استعاديّ، تبدو للتحليل أكثر اهتمامًا بالتطابق مع المفاهيم البولُسيّة من الاهتمام بالأصالة وبالأمانة للأصل؛ هي تبدو لعلماء الإسلام "تشويهًا غير معقول" لا يتطابق تاريخيًّا وعقائديًّا، لا مع رسالة الله، ولا مع تعليم يسوع، ولا مع الطقس الذي حفظه يسوع"[٢٨].

٦/٢ – سِرْج لاَفِّيتّ (Serge Laffitte)

سِرْج لاَفِّيتّ هو صحفيّ متخصّص في المجال الدينيّ في Le Monde des Religions. يتكلّم لاَفِّيتّ على "**بولس** الطرسوسيّ، الذي سُرعان ما سيُدعى **مؤسّسَ المسيحيّة ومنظِّرَها**"[٢٩].

٣ – توضيحات وردود

الكلّ يعترف بأنّ **رسائل بولس** ليست أطروحات لاهوتيّة، بل هي كتابات وُضِعَت في ظروف محدّدة. ليس بالإمكان إذًا الإغلاق عليه في واحدة من جُمَلِه، إذ يمكن معنى الكلمات أن يتبدّل وَفْقَ السياقات، ممّا يُلزِم التعاطي بأكبر قدر ممكن من الفطنة عندما نضع الواحدَ مقابل الآخَر، كما يلي:

– الإيمان–الأعمال،

– الإلغاء–التتميم،

– يسوع التاريخ–يسوع الإيمان.

ألَمْ يعلن بولس قائلاً: "أفَنُبْطِلُ الشريعة بالإيمان؟ معاذ الله! على العكس، نحن نثبت الشريعة!" (رو ٣: ٣١).

٣/١ – قبول بولس في الكنيسة التي كانت قائمة قبله

كلّنا يعلم علم اليقين أنّ الكنيسة كانت قائمة قبل بولس. نذكر بدايةً أنّ شاول وجد نفسه مضَطرًّا إلى أن يجاهد ضدّ آراءِ **كنيسةٍ مسيحيّةٍ كانت قائمة قبله** وأن يضطهدها، لأنّه كان يرى فيها خطرًا وجوديًّا على شعبه

(٢٦) عبد الجبّار، **المرجع ذاته**. رج:

Gabriel Said Reynolds, *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu: 'Abd Al-Jabbār and the Critique of Christian Origin*, Brill, Leiden, 2004.

حول موضوع التحريف، سلّط ج. س. راينولدس (G. S. Reynolds) الضوءَ على المصادر الإسلاميّة لمؤلَّفه، ألا وهو كتاب عبد الجبّار المذكور.

رج أيضًا مقالات S. Pines في:

Pines Shlomo, in *The Collected Works of Shlomo Pines*, Vol. IV, *Studies in the History of Religion* by Guy G. Stroumsa, The Magnes Press, Jerusalem 1996, p. 211-486.

(27) H. Boubakeur, *Le Coran*, Fayard 1985, p. 94.

يعود الكتاب إلى ابن حَزْم الأندلسيّ، **الفصل في الملل والأهواء والنِحل**، مطبعه الموسوعات، مصر سنه ١٩٠٤، ج ٢، ٢. هو كتاب في دراسة الأديان والفرق والمقارنة بينها. يُعَدّ ابن حَزْم (٩٩٤م–١٠٦٤م) من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا. متكلّم، أديب، وشاعر، وناقد محلّل، بل وصفه البعض بالفيلسوف. وكان وزيرًا سياسيًّا لبني أُميّة. أنظر أيضًا:

H. Boubakeur, *Traité moderne de théologie islamique*, 1985, p. 95-97, 108.

(28) *Le Monde des religions*, no 22, mars-avril 2007, p. 39.

(29) Cf. Jean-Yves Empereur, *Alexandrie Hier et Aujourd'hui*, Gallimard - Collection : Découvertes Gallimard, Culture et Société 2001.

وديانته: "أَمَّا شاول ما زالَ صَدرُه يَنفُثُ تَهديدًا وتَقتيلاً لِتَلاميذِ الرَّبّ. فقَصَدَ إِلى عَظيمِ الكَهَنَة، وطَلَبَ مِنه رَسائِلَ إِلى مَجامِعِ دِمَشق، حتَّى إِذَا وَجَدَ أُناسًا على هذِه الطَّريقَة، رِجالاً ونِساء، ساقَهم موثَقينَ إِلى أُورَشَليم" (أع ٩: ١–٢)؛ هذا يعني أنّه **أصلاً لم يؤسّس الكنيسة**، ولم يكن عليه بالتالي، بعد أن اهتدى إلى الإيمان بالمسيح (أع ٩: ٣–١٩)، أن يقوم بهذا العمل؛

– فهو، وقبل الانضمام إليها، كان متضايقًا جدًّا منها، لذلك كان قد أيّد رَجْمَ الشمّاس الهلّينيّ إسطفانوس: "وكانَ شاولُ مُوافقًا على قَتْله. وفي ذلكَ اليوم وَقَعَ اضطهادٌ شديدٌ على الكنيسةِ الَّتي في أُورشليم، فتشتَّتوا جميعًا، ما عدا الرُّسل، في ناحيتَي اليهوديَّةِ والسَّامرة" (أع ٨: ١)؛

– لاحقًا، وتحديدًا بعد اهتدائه على طريق دمشق، استقبله حنانيا التلميذ المؤمن بالمسيح في كنيسة دمشق، وأوضح له ما كان عليه أن يعمل (أع ٩: ٣–١٩)؛

– وبعد الإقامة سنوات ثلاث عند النبطيّين وفي دمشق (غل ١: ١٧) ، أقام خمسة عشر يومًا مع بطرس لاهتمامه بمسألة **الشركة معه ومع الكنيسة التي كانت قائمة قبل ذلك**: "وبَعدَ ثلاثِ سنوات صَعِدتُ إِلى أُورشليمَ للتَّعرُّفِ إِلى صَخْر، فأَقَمتُ عندَه خمسةَ عشرَ يومًا" (غل ١: ١٨)؛ "ولَمَّا عَرَفَ يعقوبُ وصَخْرٌ ويوحنَّا، وهُم يُحسَبونَ أَعمدةَ الكنيسة، ما وُهِبَ لي مِن نعمة، مَدُّوا إِليَّ وإِلى برنابا يُمنى المشاركة، فنذهَبُ نحنُ إِلى الوثنيِّين وهم إِلى المختونين" (٢: ٩).

– بحث عنه برنابا، وهو التلميذُ الذي كانت الكنيسة تعترف به، في طرسوس إلى أن وجده، وجاء به إِلى أَنطاكية، كما جاء في أع ١١: ٢٥–٢٦: "فمضى إِلى طرسوسَ يَبحَثُ عن شاول، فلمَّا وَجَدَه جاءَ به إِلى أَنطاكية، فأَقامَا سنةً كاملةً يَعملانِ معًا في هذه الكنيسة، ويُعلِّمانِ خَلقًا كثيرًا. وفي أَنطاكيةَ سُمِّي التَّلاميذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مسيحيِّين".

– ويبيّن حَدَثُ بطرس في قيصريّة، حيث عَمَّدَ بيتَ كورنيليوس قائد المئة (أع ١٠: ١–١١، ١٨)، أنّ **الانفتاح على غير اليهود كان قد بدأ قبل بولس وبرنابا**؛

– وكانت **الرسالة لدى الوثنيّين في أنطاكيا قد بدأت قبل أن ترسل الكنيسة برنابا** إلى هناك: "غيرَ أَنَّه كانَ منهم قُبرُسيُّونَ وقيرينيُّون، فلمَّا قَدِموا أَنطاكِيَة، أَخَذوا يُكَلِّمونَ اليونانيِّينَ أَيضًا ويُبَشِّرونهم بالرَّبِّ يسوع. وكانت يدُ الرَّبِّ معهم فآمَنَ منهم عددٌ كثير فاهتدَوا إِلى الرَّبّ" (أع ١١: ٢٠–٢١)، كما **كانت قائمة في أورشليم مع فيليبّس وإسطفانوس**: "وكانَ إِسطفانُوس، وقَدِ امتلأَ مِنَ النِّعمةِ والقوَّة، يأتي بأَعاجيبَ وآياتٍ مبينةٍ في الشَّعب" (أع ٦: ٨)؛

– فقط بعد سبع سنوات تقريبًا من دخول بولس في الجماعة المسيحيّة، انطلق في رحلته الرسوليّة الأولى؛

– والملفت هو أنّ هذه الجماعة كانت تحت مسؤوليّة برنابا (أع ١١: ٢٢–٢٤)، ولم يَتَولَّ بولس مسؤوليّةً مباشرةً إلاّ بعد حوالى **اثنتي عشرة سنة من العيش في الكنيسة**، الأمر الذي يعني أنّ **الكنيسة كانت موجودة قبله**.

٢/٣ – كنائس محلّيّة عدّة نشأت قبل بولس

يمكننا أن نؤكّد أنّ كنائس محلّيّة عدّة نشأت قبل بولس ومعه لاحقًا، ممّا يعني أنّ الكنيسة كانت قائمة قبله، وليس هو مؤسّسَها:

– في **أفسس**، ولدى وصوله إلى تلك المدينة، كان هناك تلاميذ ليوحنّا المعمدان، مطّلعون على التقليد الإنجيليّ وعارفون به: "فقال: فأَيَّةَ معموديَّةٍ اعتَمَدْتم؟ قالوا: معموديَّةَ يوحنَّا" (أع ١٩: ٣)؛

– في **الإسكندريّة**، المدينة الهلّينيّة التي كان هناك

(30) Étienne Trocmé, *Saint Paul*, Que sais-je?, 2003, p. 89.

حضور يهوديّ قويّ[٣٠]، كما كانت هناك جماعات خارج فلَكِ بولس؛

– في **بلاد ما بين النهرين**، أديابين، والرها، وغيرهما، كما أيضًا في مناطق **الفرتيّين**؛

– لم يؤسّس بولس كنيسة **روما**، ولا كنائس **أنطاكيا** وباقي **سوريا**، ولا كنائس **فينيقيا** (صور، وعكّا، وصيدون)، ولا كنائس **قيصريّة** فلسطين، **وقبرص، والقيروان**؛

– في **آسيا الصغرى**، كان أبُولّس الذي تنشّأ في الإسكندريّة، يعلّم في **أفسس** وكورنتس قبل بولس. كذلك **كبّادوكيا، وبِيثينيا، وكيليكيا** (موطنه) ليس بولس مَن بشّرها بالإنجيل؛

– أمّا كنائس سفر الرؤيا (رؤ ١: ٤ي)، **أفسس** (٢: ١–٧)، **وإزمير** (٢: ٨–١١)، **وبرغاموس** (٢: ١٢–١٧)، **وتياتيره** (٢: ١٨–٢٩)، **وسرديس** (٣: ١–٦)، **وفيلادلفيا** (٣: ٧–١٣)، **ولاَوُدِقِيّة** (٣: ١٤–٢٢)، فكانت كلّها في حقل رسالة يوحنّا وليس بولس.

٣/٣ – التقليد الكنسيّ الشفهيّ نشأ قبل بولس

قبل أن يضع بولُس رسائله، التي هي زمنيًّا وبالتأكيد الكتابات المسيحيّة الأولى من العهد الجديد، **كان هناك في الكنيسة الأولى تقليد شفهيّ حيّ** لجماعة مسيحيّة ملتئمة حول الاثني عشر، الذين لم يكن بولس واحدًا منهم؛ هو ذاته يُقرّ بأنّ "يعقوب، والصفا ويوحنّا هم أعمدة الكنيسة" (غل ٢: ٩)، وهم الذين ثبّتوه. إنّنا بوضوح أمام **التقليد الرسوليّ**. لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّه، في العالم البيبليّ، تسبق الحياةُ الملموسة التطوّرَ التأويليّ.

أن يكون هناك مسلمون أقلّ تأثّرًا بالتقليد الشفهيّ، لأنّه، استنادًا إليهم، أُنزِل القرآن من السماء دون تقليد سابق لذلك، فهذا ما باستطاعتنا أن نتفهّمه؛ ولكن أن يبدو اليهود أنّهم قد نسوا هذه المعْلومة في شأن بولس، فهذا ما يثير الدهش. **قبْل أن يكتب بولسُ رسائله، غاص في التقليد الرسوليّ** الحيّ الذي سيعطي الأناجيل.

وقبل بولس وقبل الأناجيل كان هناك تداول لأقوال (logia) يسوع ولأخبار أفعاله، أُعيدت قراءتها وفق الطرق اليهوديّة، ونجد تحريرها الأخير في أسفار العهد الجديد. إنّ أساس هذه التقاليد هو الشهادة لموت الربّ يسوع على الصليب، موت يصدم، وقيامته التي هي ليست أقلّ تحييرًا.

تُبرز الروايات شهودًا أحياء، وُدَعاء، مُحيِّرون، مثل: زكّا (لو ١٩: ١–١٠)، وقائد المئة الرومانيّ في كفرناحوم (لو ٧: ٢–١٠)، والمرأة السوريّة–الفينيقيّة (مر ٧: ٢٤–٣٠)، والمرأة السامريّة (يو ٤)، والمرأة الزانيّة (يو ٧: ٥٣ – ٨: ١١)، وبرطيما في أريحا (مر ١٠: ٤٦–٥٢)، ولعازر (١١: ١–٤٥)، وغيرهم؛ لقد تمّتْ إعادة قراءة هذه الروايات على ضوء الفصح، وهذا طبيعيّ، ولكنّ هذا لا يقلّل شيئًا من قيمتها. لا يعود بولس في رسائله إلى روايات يسوع وأقواله التي يعرفها، والتي ينشرها التقليد الرسوليّ، بل يعرض توليفيًّا مضمونها ذا المدلول اللاهوتيّ والروحيّ. إنّه إسهام مميّز ومكمّل لباقي النصوص المحفوظة؛ فهو يبيّن ما يعنيه العيش "في المسيح" (غل ٢: ١٦–٢٩).

٤ – لم يُقبَل بولس في الكنيسة إلاّ شيئًا فشيئًا

إذا راجعنا المعطيات التاريخيّة المتوفّرة لدينا حول قبول في الكنيسة الجامعة، يتبيّن لنا أنّ **الادّعاء بأنّه "مؤسّس للمسيحيّة"** هو غير واقعيّ؛ فمن الواضح أنّه لم ينعم منذ البدء بالأهمّيّة التي اكتسبها لاحقًا وشيئًا فشيئًا في كنيسة المسيح؛ فعندما كان ما زال على قيد الحياة، حقّق نجاحات رسوليّة لافتة في مدينتَي أفسس وكورنتس، إلاّ أنّه هُزِم في أورشليم، إذا جاز التعبير، إذ تمّ توقيفه (أع ٢١: ٢٧، ٣٤) وتجميد نشاطه الرسوليّ لمدّة سنتين كان خلالها سَجينًا في قيصريّة فلسطين (أع ٢٤: ٢٣، ٢٧)، ثمّ وُضِعَ لمدّة سنتين في الإقامة المراقبة في مدينة روما (أع ٢٨: ١٦، ٣٠)، قبل أن يُقطع رأسه، كما يُخبرنا التقليد. لا نعرف شيئًا واضحًا

عن نهاية حياته في روما، وهذا ما يبدو مستغربًا بالنسبة إلى شخص استثنائيّ يُعتَبَرُ أنّه مؤسِّس ديانة! يقول تْرُوكْمِي أنّنا لا نجد بين معاصريه إلاّ بشكل نادر، أي في الجيل المسيحيّ الأوّل، مَن يرى فيه المفكّر القويّ لديانة المسيح، والسابق الأكثر جرأة لتنظيم الكنيسة العتيد[٣١].

لقد استغرق "قبولُ" بولس في الكنيسة بعض الوقت، إذ توجّب عليه أن يجاهد ضدّ اليهود الذين نبذوه، وضدّ اليهو–مسيحيّين المتحفّظين على تبشير الوثنيّين. وقد ساهم لوقا، من خلال وضعه سفر أعمال الرسل، حوالى خمسة عشر عامًا بعد غياب بولس، في ردّ الاعتبار إليه.

يبدو أنّ الرسائل المنسوبة إلى بولس، وتحديدًا الرسائل إلى تلميذَيه تيموتاوس وتيطس، وأهل أفسس، قد نُشِرت بعد ثلاثين عامًا من غيابه، لكنّ هذه المسألة ليست الآن موضوع اهتمامنا.

إنّ رسالة بطرس الثانية (حوالى سنة ١٢٥)، بالرغم من أنّها تصنِّف رسائلَ بولسَ بين "الكتب"، هي شاهد حاسم أيضًا في هذا المجال: "بولس، أخونا وصديقنا، كتب إليكم وفْق الحكمة التي وُهِبت له... في رسائله كلّها... هناك مقاطع صعبة، يحرّفها الجهلةُ وغير الثابتين" (٢ بط ٣: ١٥–١٦).

لدينا مثلٌ جيّد عن هذا التحويل في المعنى، يرقى إلى حوالى سنة ١٤٠، ألا وهو مرْقْيُون الهرطوقيّ الذي كان يرذل البيبليا اليهوديّة؛ فلقد حاول أن يُنشئ نوعًا من البولُسيّة الجذريّة، معتمدًا في ذلك على رسائل بولس. لم يتمّ تكريس هذا الأخير فعليًّا سوى سنة ١٨٠ تقريبًا.

كان المسيحيّون القادرون على القراءة إذًا يقرأون رسائل بولس. مع ذلك، قد يمكننا أن نقول أنّ فكر بولس لم يُستَوعَب إلاّ شيئًا فشيئًا. في كلّ حال، لقد أصبح بولس عامودًا حقيقيًّا للإيمان المسيحيّ. كلّ ذلك يدفعنا إلى الاستنتاج أنّنا **بعيدون عن فكرة "مؤسِّس" مفترض للمسيحيّة.**

٥ – بولس يعرف أقوال يسوع وينقلها بأمانة

نكتشف في رسائل القدّيس بولس أقوالَ الربّ يسوع الكامنةَ وراء ما علّمه رسول الأمم في بشارته وفي رسائله، والتي يبدو بوضوح أنّه كان متشبّعًا منها[٣٢]. في مقال آخَر مكمِّل[٣٣] سنستلّ بعض الأمثلة من رسالته **الأولى إلى الكورنثيّين** ونقابلها بأقوال مماثلة عائدة إلى الربّ يسوع ومحفوظة في الأناجيل، بهدف أن نؤكّد أنّ ما خطّه بولس في رسائله هو امتداد لأقوال يسوع وصدى لها، وهذا ما تلقّاه من التقليد الرسوليّ الحيّ القائم قبله، والذي يعلن بوضوح أنّه نقله بأمانة، وهذا ما أكّده في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس: "فَأَنَا تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُهُ إِلَيْكُم..." (١ كو ١١: ٢٣–٣٢).

٦ – القطيعة بين المسيحيّة واليهوديّة هي لاحقة لبولس

نتبيّن انفصال المسيحيّة عن اليهوديّة[٣٤] من خلال ما جرى في مجمع أورشليم، الذي التأم حول الرسل الاثني

(31) Cf. Tom Wright, *Che cosa veramente ha detto Paolo*, Torino, Claudiana, 1999.

(٣٢) أيوب شهوان، "بولس يعرف أقوال يسوع وينقلها بأمانة. مقارنة بين كورنتوس الأولى والأناجيل"، **مجلّة بيبليا** ٥٩ (٢٠١٣).

(33) Steven T. Katz, "Issues in the Separation of Judaism and Christianity after 70 C.E.: A Reconsideration", *Journal of Biblical Literature*, 103/1, p. 64s. Cf. James D. G. Dunn, *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

(34) Cf. André Paul, *Jésus Christ, la rupture. Essai sur la naissance du christianisme*, Paris, Bayard 2001.

عشر وبولس (أع ١٥: ٥–٢٩)؛ فلقد رفض المجتمعون ختان الوثنيّين الذين كانوا يهتدون إلى المسيحيّة، وكان ذلك بمثابة نوع من القطيعة مع اليهوديّة التوراتيّة[٣٥]. وفي ثورة سنة ٧٠ ب. م.، التي قام بها اليهود على الرومان بهدف التحرّر منهم، رفض اليهو–مسيحيّون أن يدخلوا الحرب ضدّ الرومان، ممّا اضطرّ كثيرين منهم إلى أن يفرّوا إلى عبر الأردن، وتحديدًا إلى بِلّاّ. بسبب ذلك، وُجِّهتْ البركة الثانية عشرة من صلاة الـ"عميده" اليهوديّة، وهي "بركة ضدّ الهراطقة" (ברכת המנים)[٣٦]، علمًا أنّها في الواقع لعنة على اليهو–مسيحيّين[٣٧] من أجل استبعادهم من المجمع[٣٨]. تزايدت هذه الظاهرة إبّان ثورة سنة ١٣٥ التي قادها بَرْ كُوخْبا ضدّ الرومان، والتي رفض اليهود المسيحيّون المشاركة فيها، فراح بَرْ كُوخْبا يضطهدهم بلا هوادة، فارتسم طرقان مختلفان، وتثبّتت القطيعة بين الاثنين[٣٩].

٧ – هو يسوع من أسّس الكنيسة وليس بولس

لم يكن بولسُ الأوّل في دفْع اليهوديّة نحو تطوّر جديد؛ فلقد فتح يسوع الطريق لذلك بطريقة بارعة، وهو الذي صنع الجوهريّ في هذا المجال.

لم يتبرّأ الرسلُ من بولس، في الوقت الذي كان فيه يمكن أن تكون هناك توتّرات هامّة معه، لا بل بالعكس من ذلك؛ وكما يخبر سفر أعمال الرسل، استقبله الإخوة ومَن معه بفرح لدى وصولهم إلى أورشليم: "فلَمَّا وَصَلْنا إِلى أُورشليم رَحَّبَ بنا الإِخوةُ فرِحين" (أع ٢١: ١٧). وكانت للكنائس التي أسّسها بولس العقيدةُ الأساسيّةُ ذاتُها التي لغيرها من الكنائس.

لقد نبذت استقراطيّةُ الهيكل الصدّوقيّةُ يسوعَ[٤٠]، بعد أن كان قد نجا مرّات عدّة من الرجم ومن إلقاء القبض عليه (لو ٢٠: ١٩)، كون شخصيّته ورسالته كانتا إشكاليّتَين، إلاّ أنّ **تعليمه كان مثيرًا** أو حتّى صادمًا، وهذا ما نتبيّنه ممّا يلي:

– من الواضح أنّ يسوع كان يريد صراحةً أن يغفر الخطايا، كما جاء في مر ٢: ٥–٦: "فلمَّا رأَى يسوعُ إِيمانَهم، قالَ للمُقعَد: يا بُنَيَّ، غُفِرَت لكَ خطاياك. وكانَ بينَ الحاضرينَ هناكَ بعضُ الكتبة، فقالوا في قلوبِهم: ما

(35) Pieter Willem van der Horst, "The Birkat ha-minim in Recent Research", *The Expository Times*, 1994, p. 367s; Pieter Willem van der Horst, *Hellenism, Judaism, Christianity: Essays on their Interaction*, Kok Pharos: 1998, p. 113: "... who humblest the insolent" (Palestinian recension). The 12th *berakhah* in the Jewish *Shemoneh Esreh* (Eighteen [benedictions]) is usually called the *Birkat ha-minim*, 'the blessing of the heretics', which is a euphemism for a curse".

(36) Rashi on *BT Megillah* 17b: "The *minim* are disciples of Jesus the *Notzri* which is why they put Birkat haMinim ...". Cf. Marvin R. Wilson, *Our father Abraham: Jewish roots of the Christian Faith*, Wm. B. Eerdmans: 1989, p. 68: "We must emphasize that only two texts of the *Birkat ha-Minim* (both found in the Cairo Genizah) explicitly mention Christians. Both texts refer to "the Christians [*notzrim*, ie, the Nazarenes] and the heretics / minim]". Simon C. Mimouni, « La «Birkat ha-minim»: « Une prière juive contre les judéo-chrétiens », *Revue des Sciences Religieuses* 71 (1997) 275-298. Liliana Vana, « La *Birkat ha-minim* est-elle une prière contre les judéo-chrétiens? », in Nicole Belayche et Simon C. Mimouni, *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003, p. 201-241.

(37) "Blessing on the heretics" is a Jewish prayer of blessing on heretics in general, and sometimes Christians, though in this context "blessing" may also be a euphemism for a curse. The blessing is the 12th of the Eighteen Benedictions or *Amidah*.

(38) Cf. James D. G. Dunn, *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

(٣٩) اتّفق الصدوقيّون مع الفرّيسيّين على معاداة يسوع. وتذكر الأناجيل حوادث عدّة حاول فيها الصدّوقيّون والفرّيسيّون الإيقاع به: "ودَنا الفِرِّيسيُّونَ والصَّدُّوقيُّونَ يُريدونَ أَن يُحرِجوه، فسأَلوه أَن يُرِيَهم آيةً مِنَ السَّماء" (مت ١٦: ١). ويورد مت ٢٢: ٢٣–٣٣ الحادثة الشهيرة للمجابهة بين الصدّوقيّين ويسوع عندما سألوه عن قيامة الموتى، بحسب رواية إنجيل متّى، واستطاع يسوع البرهان بآية من سفر الخروج عن القيامة، فقدّم بذلك خدمة جليلة للفريسيّين.

(40) *Ibid*, p. 110.

بالُ هذا الرَّجُلِ يَتَكَلَّمُ بذلك؟ إنَّه لَيُجَدِّف؛ فمَن يَقدِرُ أَن يَغفِرَ الخطايا إِلاَّ اللهُ وحدَه؟".

– يعزّز تأكيدُ يسوع بأنّه ابن الله بطريقة استثنائيّة إشكاليّةَ شخصيّته؛ فلقد قال: "الآب وأنا واحد" (يو ١٠: ١٤)، فتلقّى ردَّ اليهود المتوقَّع: "ليس من أجل عمل صالح نرجمك، بل بسبب تجديف، لأنّك أنت لست سوى إنسان تجعل من ذاتك إلهًا" (يو ١٠: ٣٠–٣٣).

– في مكان آخر، فاه يسوع بالتصريح الواضح والقويّ التالي: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن؛ فالتقطوا عندها حجارة ليرشقوه بها" (يو ٨: ٥٨–٥٩).

– قدّم نفسه للسامريّة على أنّه المسيح: "أنا هو، أنا الذي يكلّمكِ" (يو ٤: ٢٥–٢٦).

– وعن هويّته قال: "ها هنا أعظم من يونان... وأعظم من سليمان" (مت ١٢: ٤١–٤٢)؛ و"ها هنا أعظم من الهيكل... ابن الإنسان هو ربّ السبت" (مت ١٢: ٥، ٨). لقد عاش يسوع هذا اللقب بطريقة ليست زمنيّة محيّرة وغير متوقّعة.

– اتّخذ موقفًا ضدّ الطلاق (مت ١٩: ٣–٩)، وتبعه بولس في ذلك (١ كو ٧: ١٠).

– يبقى منطق المسامحة جوهريًّا بالنسبة إلى بولس، لذلك أعلن في رسالته إلى الكولسّيين: "لقد سامحكم الربّ، فاصنعوا كذلك أنتم أيضًا" (كول ٣: ١٣)؛ وذكّر التسالونيكيّين بذلك عندما كتب إليهم قائلاً: "أَمَّا المحبَّةُ الأَخويَّة فلا حاجةَ بكُم إلى أَن يُكتَبَ إليكم فيها لأَنَّكم تَعلَّمتُم مِنَ اللهِ أَن يُحِبَّ بعضُكم بعضًا" (١ تس ٤: ٩).

في إثر يسوع سار بولس بأمانة:

– كان يسوع قد قال: "لا تقاوموا الشرّير، بل قدِّم له الخدّ الآخر... أحبّوا أعداءكم" (مت ٥: ٣٩، ٤٣–٤٨)؛ و"طوبى للودعاء فإنّهم يرثون الأرض" (مت ٥: ٤)؛ وتبعه **بولس** في ذلك (رو ١٢: ١٤–٢١) وأعلن: "ما هو ضعيف في العالم، اختاره الله لكي يخزي القوّة" (١ كو ١: ٢٧)؛ "عندما أكون ضعيفًا، فعند ذلك أكون قويًّا" (٢ كو ١٢: ١٠)؛ فإنّ الأرض التي سيرثها الودعاء هي ملكوتٌ بشّر به يسوع. يؤكّد إ. تْرُوكْمِي حول هذه النقطة، بأنّ "الرسول بولس هو ثوريّ، كيسوع بالذات"[٤١].

– يترافق الولاء الأساسيّ تجاه السلطات السياسيّة مع أخذِ حرّيّة عند **يسوع** في قوله: "أدّوا لقيصر ما هو لقيصر، ولله ما هو لله" (مت ٢٢: ٢١)؛ وعند **بولس** أيضًا: " أَدُّوا لكلٍّ حَقَّه: الضَّريبةَ لِمَن له الضَّريبة، والخَراجَ لِمَن له الخَراج، والمهابةَ لِمَن له المهابة، والإِكرامَ لِمَن له الإِكرام" (رو ١٣: ٧)؛ لكنّ هذا لم يحُل دون الحكم على بولس بالموت على يد الرومان، كما حصل ليسوع.

– لقد استوعب **يسوع** متطلّبات الديانة اليهوديّة، وبالتحديد "الوصايا" (מִצְוֹת)، مكمّلاً إيّاها "بالروح والحقّ"، كما قال: "ولكن تأتي ساعةٌ، وقد حَضَرتِ الآن، فيها العِبادُ الصادقون يَعبُدونَ الآبَ بالرُّوحِ والحقّ؛ فمِثْلَ أُولئكَ العِبادِ يُريدُ الآب. إِنَّ اللهَ رُوح، فعَلَى العِبادِ أَن يَعبُدوهُ بالرُّوحِ والحقّ" (يو ٤: ٢٣–٢٤).

– مع **يسوع**، نظام الطاهر والنجس أُعطِي بُعْدًا روحيًّا: "ما مِن شيءٍ خارجٍ عنِ الإِنسان إِذا دخَلَ الإِنسانَ يُنَجِّسُه، ولكِن ما يَخرُجُ مِنَ الإِنسان هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان... فقالَ لهم: أَهكذا أَنتم أَيضًا لا فَهِمَ لكم؟ أَلاَ تُدرِكونَ أَنَّ ما يدخُلُ الإِنسانَ مِنَ الخارِجِ لا يُنَجِّسُه، لأَنَّهُ لا يَدخُلُ إِلى القَلب، بل إِلى الجَوف، ثُمَّ

(٤١) "في قلوب الخطأة عششت الخطيئة وكثُرَت، لكنّ يسوع كان يذهب إليهم، ويغمرهم بفيض محبّته ونعمته. كان يخرج ليبحث عنهم، ويدعوهم قائلاً: تعالوا إليّ! وعندما يسألونه شرحًا كان يقول لهم: ليسَ الأَصحّاءُ بمحتاجينَ إِلى طبيب، بلِ المَرضى. ما جئتُ لأَدعُوَ الأَبرار، بلِ الخاطِئين، جئت لأشفي وأُخلّص" (البابا فرنسيس، عظة في ٢٠١٣/١٠/٢٢).

يَذهَبُ في الخَلاء. وفي قَولِه ذلك جَعَلَ الأَطعِمَةَ كُلَّها طاهِرة" (مر ٧: ١٥، ١٨–١٩)؛ هذا ما سيطبّقه **بولس** خاصّةً مع غير اليهود: "أنا أعلم، وأكيد بالربّ يسوع، ليس شيء نجسًا بحدّ ذاته" (رو ١٤: ١٤–١٥).

– لقد روحن **يسوع** الهيكل عندما قالَ للسامريّة: "صَدِّقيني أَيَّتُها المرأَة، تأتي ساعةٌ فيها تَعبُدونَ الآب لا في هذا الجبل ولا في أُورشَليم" (يو ٤: ٢١)؛ لقد روحنه أيضًا وأيضًا من خلال إزالة ذبائح الحيوانات وبتقدمته جسده هو كما قال لليهود: "أُنقُضوا هذا الهيكل أُقِمْهُ في ثلاثةِ أَيّام. فقالَ اليهود: بُنِيَ هذا الهيكلُ في ستٍّ وأَربعينَ سنة، أَوَأَنتَ تُقيمُه في ثلاثة أَيّام؟ أَمَّا هو فكانَ يَعني هيكلَ جسدِه" (يو ٢: ١٩–٢٢)؛ سيقول **بولس** كلامًا مماثلاً: "إِنَّ اللهَ الَّذي صَنَعَ العالَمَ وما فيه، والَّذي هو رَبُّ السَّماءِ والأَرض، لا يَسكُنُ في هياكلَ صَنَعَتها الأَيدي" (أع ١٧: ٢٤)؛ "أَما تَعلَمونَ أَنَّكُم هيكلُ اللهِ، وأَنَّ رُوحَ اللهِ حالٌّ فيكم؟ مَن هَدَمَ هيكلَ اللهِ هَدَمَه اللهُ، لأَنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّس، وهذا الهيكلُ هو أَنتُم" (١ كو ٣: ١٦–١٧)؛ "أَوَ ما تَعلَمونَ أَنَّ أَجسادَكُم هي هيكلُ الرُّوحِ القدس، وهو فيكُم قد نِلتُمُوه مِنَ اللهِ، وأَنَّكُم لستُم لأَنفسِكم؟" (١ كو ٦: ١٩).

– سيصدم **يسوع** بمعاشرته الخطأة[٤٢]، كالسامريّة (يو ٤)، وزكّا العشّار (لو ١٩)؛ وسيقول **بولس** أنّ يسوع صار خطيئة لأجلنا: "ذاكَ الَّذي لم يَعرِفِ الخطيئَةَ جَعَلَه اللهُ خطيئَةً مِن أَجْلِنا كيما نَصيرَ فيه بِرَّ اللهِ" (٢: كو ٥: ٢١)؛ "لأنّه "حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة" (رو ٥: ٢٠). لن يفعل بولس شيئًا سوى توضيح انفتاح يسوع، أي الإلغاء والتتميم، الإيمان والمسامحة المجّانيّة والأعمال، مع الإشارة إلى أنّه لم يكن هاويًا لكتابة أطروحات لاهوتيّة، الأمر الذي كان يمكن أن يقوم به مؤسِّسُ ديانةٍ ما.

٨ – يسوع خارج القاعدة وبولس على خطاه

لقد زلزل شخصُ **يسوع** وتعليمُه جدًّا الفكرَ اليهوديَّ والبشريَّ على حدّ سواء؛ بالتالي، هل كان **بولس** يتمتّع بالسلطان الكافي ليجعل يسوعًا كهذا معتمَدًا من قِبل رُسُلٍ يمكن أن يكونوا قد عاشوا مع يسوع آخَر غير الذي عرفوه، "ذاك الَّذي سَمِعوه، ذاك الَّذي رَأَوهُ بِعَينَيهم، ذاكَ الَّذي تَأَمَّلوه، ولَمَسَتْه يَداهم" (١ يو ١: ١؛ رج أ ٣)؟ لو فعل بولس ذلك لَفَقَدَ مصداقيّته ونُبذ هو ورسالته. على العكس من ذلك، كان ينبغي اقتحامُ شخصيّةٍ خارجةٍ عن المألوف، تمامًا مثل يسوع، وأحداث غيرِ معتادة، كي يفرض إنجيلُهُ ذاتَه على يهودٍ معتادين على الممارسة المادّيّة المحسوسة، من تقديم ذبائح وقرابين وتقادم، وقيام بالحجّ وبمتطلّباته، وغير ذلك من العادات والتقاليد التي تكاثرت إلى حدّ صارت أنّها صارت "أحمالاً ثقيلة" (مت ٢٣: ٤) لا تُطاق.

لا يمكن أن تكون وحدة الإيمان المسيحيّ الحيّة وتناغمها، الذي يتميّز بالتنوّع الجغرافيّ وبتنوّع الأشخاص، مع ما لدى كلٍّ منهم من ميول خاصّة، إلاّ عمل الربّ يسوع.

مع التأكيد **أنّ بولس لم يكن مؤسِّسَ المسيحيّة**، يجب الإقرار بالمقابل بأنّه ساعد المسيحيّين على أن يكتشفوا تداعيات علاقتهم الجديدة مع قلب الله المفتوح على الناس كلّهم[٤٣].

(42) Paul Bony, « La place de Paul dans le développement du Christianisme », Esprit et Vie, n° 126 avril 2005, p. 1-8.

خاتمة

استنادًا إلى ما تقدّم، وانطلاقًا من الواقع التاريخيّ، يمكننا اعتبار الادّعاء بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة قد أمسى قولاً من الزمن الخالي، فلا يجوز بالتالي المبالغة في أهمّيّة بولس وفي دوره إلى حدّ اعتباره مؤسّس المسيحيّة. لم يتصرّف بولس وكأنّه شخص من الخارج، هبط من العدم في وسط أتباع يسوع الأوائل، وصار معهم ومثلهم رسولاً، كما أنّه لا يمكن اعتبار مواقفه وتعاليمه وآراءه شخصيّة بالكلّيّة؛ فبين يسوع وبولس لم يكن هناك أيّ فراغ، بل حبٌّ شديدٌ جذبَ به الربُّ يسوعُ إليه مضطهِدَه شاولَ–بولس، وحبٌّ شديدٌ كان يحرّك قلبَ بولسَ إلى حدّ الإعلان: "حياتي هي المسيح" (فيل ١: ٢١). لحسن الطالع لدينا رسائل مكتوبة بخطّ يد بولس لا تُقَدَّر بثمن، لأنّها مؤسَّسة على شخص يسوع، ما هي إلاّ امتداد لرسالة الربّ ولتعليمه.

لذا نؤكّد أنّ يسوع وحده هو المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة، وهو الذي جذب إليه مَن دُعُوا لاحقًا مسيحيّين (أع ١١: ٢٦) وشكّلوا معًا الكنيسة.

مراجع

ابن حَزْم الأندلسيّ، **الفصل في الملل والأهواء والنِحل**، مطبعه الموسوعات، مصر سنه ١٩٠٤.

برّو العامليّ، محمّد علي، **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

الحريريّ، أبو موسى، **قسٌّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام**، ١٩٧٩.

زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

قزّي، جوزف، **نزعنا القناع**، نِسْبَيْه، لبنان ١٩٩٧.

كركور محمّد إبراهيم ، **تطوّر المسيحيّة بين عيسى عليه السلام وبولس**. الناشر: مركز التنوير الإسلاميّ ٢٠٠٦.

عبد الجبّار، **تثبيت دلائل النبوّة**، المحرّر سنة ٩٩٥.

هاشم، شريف محمّد، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

Baur Ferdinand Christian, « Die Christuspartei in der Korinthischen Gemeinde, der Gegensatz des petrinischen und paulinichen Christenthums in des ältesten Kirche, der Apostel Paulus in Rom », *Tübinger Zeitschrift für Theologie* 4 (1831) 61-206.

Belayche Nicole et Mimouni Simon C., *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003.

Ben Chorin Shlomo, *Bruder Jesus*, München: Paul List, 1967.Ben Talal El Hassan, *Islam et Christianisme*, Brepols, 1997.

Bony Paul, « La place de Paul dans le développement du Christianisme », *Esprit et Vie*, nº 126 avril 2005, p. 1-8.

BOUBAKEUR H., *Le Coran*, Fayard 1985.

BOUBAKEUR H., *Traité moderne de théologie islamique*, 1985.

DUNN James D. G., *Jews and Christians: the parting of the ways, A.D. 70 to 135*, 1992.

EMPEREUR Jean-Yves, *Alexandrie Hier et Aujourd'hui*, Gallimard - Collection : Découvertes Gallimard, Culture et Société 2001.

FLUSSER David , *Jésus*, Paris: Seuil, 1970.

GRAETZ H., *Geschichte der Juden von den ältesten Zeiten bis zur Gegenwart*, 11 vol., Leipzig, 1853-1870, cité par D. Hagner, *op. cit.*, 144-145.

KATZ Steven T., "Issues in the Separation of Judaism and Christianity after 70 C.E.: A Reconsideration", *Journal of Biblical Literature*, 1031/, p. 64s.

LAURENT Annie, « L'offensive de Creil », in *L'Homme Nouveau*, no 1351, 4 septembre 2005.

Le Monde des religions, no 22, mars-avril 2007.

MACCOBY H., *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986.

MIMOUNI Simon C., « La «Birkat ha-minim»: « Une prière juive contre les judéo-chrétiens », *Revue des Sciences Religieuses* 71 (1997) 275-298.

PAUL André, *Jésus Christ, la rupture. Essai sur la naissance du christianisme*, Paris, Bayard 2001.

PINES SHLOMO, in The Collected Works of Shlomo Pines, Vol. IV, *Studies in the History of Religion* by Guy G. STROUMSA, The Magnes Press, Jerusalem 1996, p. 211-486.

PLATTI Emilio, *Islam…étrange?*, Cerf, 2000.

RASHI on *BT Megillah* 17b:

REYNOLDS Gabriel Said, *A Muslim Theologian in the Sectarian Milieu: 'Abd Al-Jabbār and the Critique of Christian Origin*, Brill, Leiden, 2004.

TROCMÉ Étienne, « Paul fondateur du christianisme », dans : *Aux origines du christianisme*, textes présentés par P. GEOLTRAIN, Gallimard, Paris 2000, p. 370-399.

TROCMÉ Étienne, *Saint Paul*, PUF, Que sais-je?, 2003.

VANA Liliana, « La *Birkat ha-minim* est-elle une prière contre les judéo-chrétiens? », in Nicole BELAYCHE et Simon C. MIMOUNI, *Les communautés religieuses dans le monde gréco-romain. Essais de définition*, Turnhout, 2003, p. 201-241.

WILLEM van der HORST Pieter, "The Birkat ha-minim in Recent Research", *The Expository Times*, 1994.

WILLEM van der HORST Pieter, *Hellenism, Judaism, Christianity: Essays on their Interaction*, Kok Pharos: 1998.

WILSON Marvin R., *Our father Abraham: Jewish roots of the Christian Faith*, Wm. B. Eerdmans: 1989.

WRIGHT Tom, *Che cosa veramente ha detto Paolo*, Torino, Claudiana, 1999.

ميشال الحايك

المسيح في الإسلام

دار النهار

الإنجيل برواية المسلمين

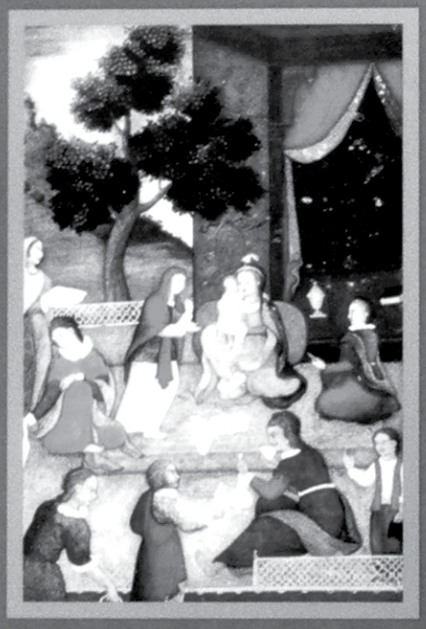

جمعه وعلق عليه

طريف الخالدي

الطبعة الثانية

العفيف الأخضر

من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ

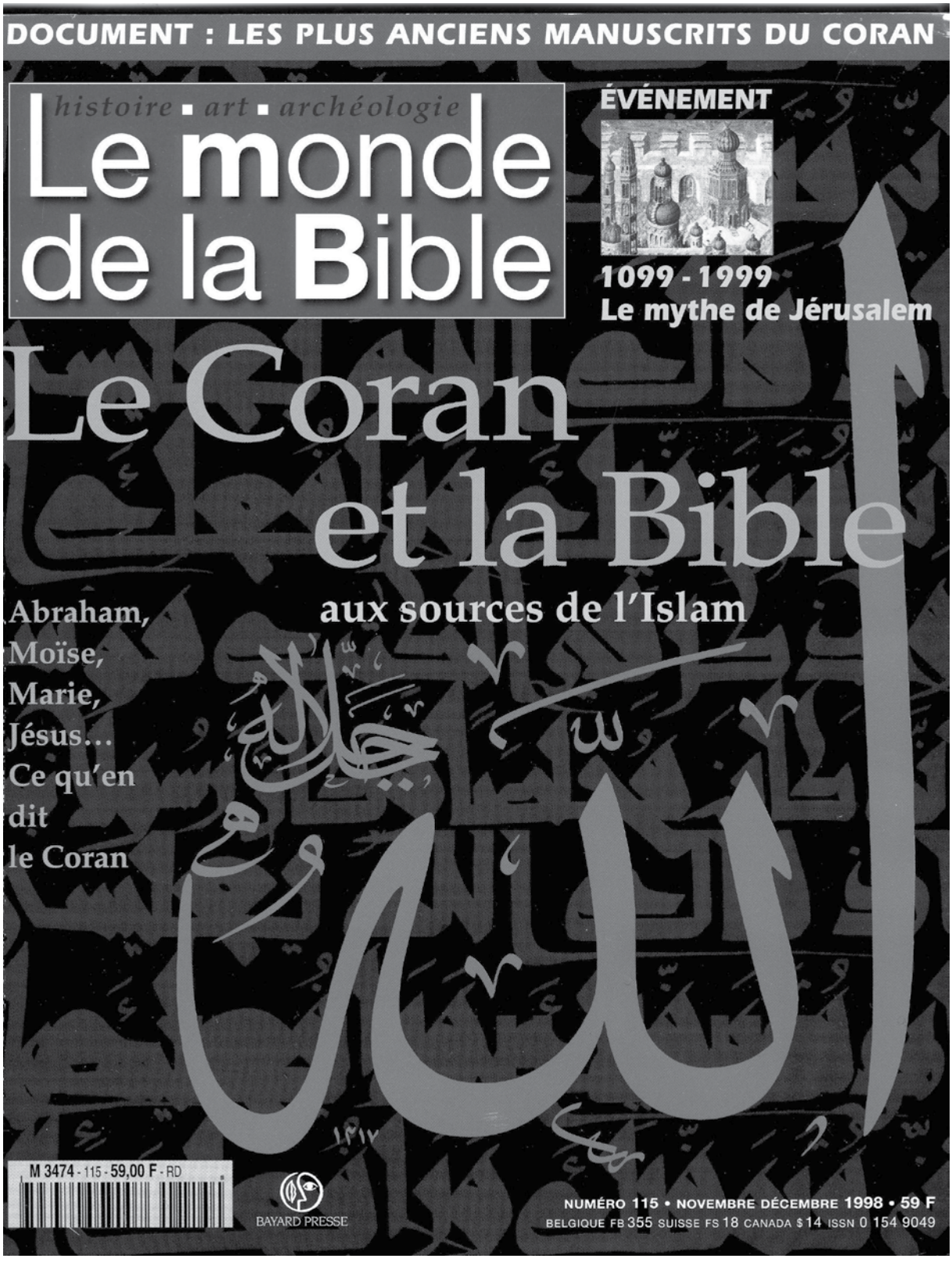
DOCUMENT : LES PLUS ANCIENS MANUSCRITS DU CORAN
histoire ▪ art ▪ archéologie
Le monde de la Bible
ÉVÉNEMENT
1099 - 1999
Le mythe de Jérusalem
Le Coran et la Bible
aux sources de l'Islam
Abraham,
Moïse,
Marie,
Jésus…
Ce qu'en
dit
le Coran
M 3474 - 115 - 59,00 F - RD
BAYARD PRESSE
NUMÉRO 115 • NOVEMBRE DÉCEMBRE 1998 • 59 F
BELGIQUE FB 355 SUISSE FS 18 CANADA $14 ISSN 0 154 9049